الفصل الرابع

(العالم فى طبيعيات الفارابى)

«عالم ما فوق فلك القمر وعالم الكون والفساد»

ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية:

تمهيد:

أولا: الأصول التى استقاها من سابقيه.

ثانيا: العالم، موجوداته ومراتبها فى الوجود.

ثالثا: أقسامه:

١ - عالم ما فوق فلك القمر.

٢ - عالم ما تحت فلك القمر.

رابعا: أثر العالم العلوى فى العالم السفلى.

خامسا: كروية الأرض وثباتها فى مركز الكون.

سادسا: العالم واحد متناه.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

ذكرنا فيما سبق أن الفارابى عندما حدد أقسام العلم الطبيعى بين أن القسم الأول منها يجعل محور دراسته الوجود الطبيعى على وجه الإجمال. فتناولنا بالدراسة تكوين الأجسام وأثبتنا أنها مركبة من المادة والصورة، ثم أوضحنا العلاقة بين هذه الأجسام وبين علـلها من ناحية، وكذلك بينها وبين لواحقها من جهة أخرى.

وبناء على نظريته فى المادة والصورة فقد قسم الأجسام إلى بسيطة، ومركبة، وعرفنا أن البسيطة كما يقول الفارابى هى الأجسام التى وجودها لا عن أجسام أخر غيرها، أما المركبة فهى التى وجودها عن أجسام أخر غيرها. الأولى مثل السماوات، والأرض، والماء والهواء، والنار والثانية مثل المعادن، والنبات، والحيوان[1].

وفي هذا الفصل الذى يحمل عنوان «العالم فى الفلسفة الطبيعية» سيكون هدفي الكشف عن تطبيق هذه المبادئ والأسس العامة على موجود موجود من موجودات العالم حتى يتضح لنا خصائص كل موجود، ومرتبته فى الوجود. فقد كان ذلك هو الأساس الذى وضعه الفارابى فى اعتباره حين تبنى فكرة وضع العالم بين بعدين لا ثالث لهما وهما:

العالم العلوى أو عالم ما فوق فلك القمر.

والعالم السفلى أو عالم ما تحت فلك القمر.

وهى القسمة التى أخذها الفارابى عن أرسطو وارتضاها لنفسه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى فلاسفة المشرق والمغرب.

الأول يقع من فلك القمر إلى آخر العالم وهو عالم الأفلاك التى توجد متحركة بحركة دورية، والثانى هو ما يقع من الأرض إلى فلك القمر وهو عالم الكون والفساد الذى تتميز أجسامه بأنها مركبة من العناصر الأربعة (الماء، والهواء، والنار، والتراب) وهى التى تتحرك على استقامة، الأول مادته الأثير وهذه المادة جسم ليس له ضد ولا يقبل أى نوع من الاستحالات الكمية أو الكيفية ولا يقبل الكون والفساد، بينما الثانى مادته العناصر الأربعة التى تتجه إلى فوق كالنار والهواء، وأما إلى أسفل كالأرض والماء[٢].

وبناء على هذا التقسيم فإننى سأتناول النظام الترتيبى الذى وضعه الفارابى لموجودات العالم «سواء كان عالم ما فوق فلك القمر، أو عالم ما تحت فلك القمر» وكيف أنه أقام هذا النظام على أساس فكرة الأفضل والأشرف وهى فكرة ميتافيزيقية بعدت به عن المجال الطبيعى الذى يفترض وجوده فى مثل هذه الدراسات.

وأخيرا فإن هناك حقيقة أخرى مفادها أن آراء الفارابى فى «عالم ما فوق فلك القمر» هى آراء تختلط فيها المبادئ الميتافيزيقية مع المبادئ الرياضية مع المبادئ الطبيعية. إذ أن الفارابى فى تحديده لعلم التعاليم أى «الرياضيات» والذى ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى يتحدث فى واحد منها عن علم النجوم التعليمى «أى علم الفلك» ويجعله يبحث فى الأجسام السماوية عن أشكالها ومقادير أجرامها، ونسب بعضها إلى بعض، وعن حركاتها بالقياس إلى الأرض وما إلى ذلك. يقول الفارابى «فعلم النجوم يفحص فى الأجسام السماوية وفى الأرض عن ثلاث جمل:

أولها: عن أشكالها (وأوضاع بعضها من بعض ومراتبها فى العالم) ومقادير أجرامها ونسب بعضها إلى بعض، ومقادير أبعاد بعضها

عن بعض، وأن الأرض ليس لها بجملتها انتقال لا عن مكانها ولا فى مكانها؛

والثانية: عن حركات الأجسام السماوية كم هى، وأن حركاتها كلها كرية وما فيها يعم جميعها الكواكب منها وغير الكواكب، وفيها يعم الكواكب كلها ثم الحركات التى تخص كل واحد من الكواكب وكم كل واحدة من أصناف هذه الحركات والجهات التى إليها تتحرك وعلى أى جهة يتأتى لكل واحد منها هذه الحركة..... الخ.

والثالثة: تفحص فى الأرض عن المعمورة منها وغير المعمورة وتبين كم هى المعمورة وكم أقسامها العظمى.... إلخ[٣] ومن ناحية أخرى فإنه فى رسالته المسماة «فى الجهة التى يصح عليها القول فى أحكام النجوم» بين أن صناعة أحكام النجوم الصحيحة تستند إلى علوم التعاليم وعلوم الطبيعة ثم التجربة[٤].

ومع ذلك ورغم هذا التداخل بين العلوم الرياضية والطبيعية والميتافيزيقية، إلا أن الفارابى يؤكد أن علم الطبيعة هو المختص بالبحث فى أمور الجسم الفلكى إذ يقول: «وأما الأجسام الفلكية فإنها لما كانت بسيطة ولم يعرض لها المزاج وكانت صورها موقوفة على موادها لم يكن يتعلق به نظر أخص منه «أى من العلم الطبيعى» الذى له موضوع يشمل على جميع الطبيعيات»[٥].

أى أن البحث عن أسباب الحركات السماوية وطبيعة الأجرام الفلكية والآثار العلوية خارج عن موضوع علم الهيئة عند الفارابى وكثير من العرب كابن سينا وداخل فى الحكمة الإلهية والطبيعية.

وفى هذا الفصل سنجد الفارابى يدرس الأجسام سواء كانت فى عالم ما فوق فلك القمر أو عالم ما تحت فلك القمر من جهة حركتها ومن جهة تأليفها من العناصر، وعلى أساس الفوارق بين العالمين يدرس كل منهما فى قسم خاص مميزا بين أحكام كل واحد منهما وخصائص موجوداته، إلا أنه يصل فى النهاية رغم تقسيمه هذا إلى إثبات واحدية العالم بناء على نظريته فى المكان ونفى الخلاء.

كما اهتم ببيان تأثير العالم العلوى فى العالم السفلى أى تأثيرات أمكنة الكواكب فى كيفيات الطبيعة الأرضية إذا لم يمنعها مانع كتسخينها مثلا(٦).

أولا: الأصول اليونانية والإسلامية التى استقاها الفارابى من سابقيه وأثره فيمن جاء بعده.

استفاد الفارابى استفادة كبيرة من دراسات الذين سبقوه فى هذا المجال سواء من حيث تقريره لكثير من الآراء التى انتهى إليها، أو من حيث الطابع العام لنظريته التى تحكمها كما قلت المبادئ الرياضية والطبيعية والميتافيزيقية، أو حتى من حيث نقده لآراء البعض منهم والتى وجد أنها لا تتفق مع آرائه الخاصة بأحكام النجوم أو تأثيرها فى العالم السفلى.

وإذا كنا سنعرض رأى الفارابى فى نظريته فى السماء والعالم فإننا سنحاول أن نبحث عن جذور هذه الآراء فى المذاهب الفلسفية السابقة عليه وبالذات فى الفلسفة اليونانية. ولقد كان تأثره بالتراث اليونانى خاصة فى هذا المجال تأثرا تاما بحيث لم يتح له إنشاء مذهب فيه عناصر جديدة خاصة به.

فإذا كان أفلاطون قد اهتم بدراسة الحركات السماوية وأثبت فى «طيماوس» أن العالم كرويا مستديرا (وذلك على العكس مما ذكره فى كتابه «الجمهورية» حيث تركنا حائرين إزاء هذه الصفة) وهو فى «طيماوس» يجعل الأرض تجارى شكل الكل وقد احتلت منه موقع المركز، بينما نجده فى «فيدون» يميل إلى القول بأنها ثابتة وبالتالى فهذا العالم كالكائن الحى الواحد فهو واحد ليس كثيرا، وهو صورة خلقت لغاية وهى تحاكى النموذج الأبدى الذى يعقله الله(٧).

وإذا كان «فيثاغورث» قد توصل قبله إلى إثبات كروية الرض مستندا إلى بعض الحجج الهندسية منها أن الشكل الهندسى الكامل هو الشكل الكروى لكمال انتظام أجزائه بالنسبة للمركز، ومنها أن الأجرام السماوية ومنها الأرض لا يمكن تصورها إلا على هذا الشكل الكامل(٨).

فإن آراء كل من فيثاغورث وأفلاطون كانت هى الأساس الذى استند إليه الفارابى فى بحثه فى العالم العلوى. وقد أثبتنا سابقا أن بحثه فى السماء ليس بحثا طبيعيا صرفا وإنما هو بحث تختلط فيه العناصر الفلكية مع الرياضية، وهنا يظهر التأثير الفيثاغورى والأفلاطونى. هذا بالإضافة إلى تأثر الفارابى بفكرة العدد الفيثاغورية فى تحديده لعدد العقول والأجسام السماوية فى عالم ما فوق فلك القمر، كما أنه تأثر بأفلاطون فى تقسيمه للعالم إلى عالمين: عالم عقلى، وعالم جسى، وإن كان الفارابى قد جعله عالما واحدا وإنما جعل موجوداته على مراتب وكذلك جعل العقول مراتب(٩).

أما بالنسبة لأرسطو فقد وضح لنا تماما كيف أن دراسته الشاملة للسماء والعالم وتقسيمه العالم على أساس فلك القمر (عالم ما فوق فلك القمر، وعالم ما تحت فلك القمر) ثم تحديده لخصائص كل عالم منهما، وصفات موجوداته ومراتبها وتكوينها وحركاتها، ثم إثباته كروية العالم ليتحقق التماثل والتوازن، وتأكيده ذلك بكثير من الحجج التى تعتمد على الملاحظة والمشاهدة أو الاستنباط من مبادئ العلم الطبيعى حتى يصل إلى إثبات كروية الأرض وينتهى إلى إثبات أن العالم واحد اعتمادًا على نظريته فى أماكن العناصر وحركاتها على أساس العلل المحركة لها. أقول كل هذه الأصول كان لها تأثيرها الفعال على نظرية الفارابى فى السماء والعالم وعلى سبيل المثال فإذا كان الفارابى قد أثبت كروية الأرض بناء على كروية العناصر حيث يقول «وشكل كل واحد من الأربعة على شكل الكرة» ويقول أيضا «والعالم يركب من بسائط صائرة كرة واحدة» فإن هذا الإثبات مستمد أساسا من قول أرسطو «إذا تركنا جزءا من المادة لنقشه فإنه يتهيأ بهيئة الكرة، وإذا كانت الأرض ساكنة فإن شكلها بالتالى يكون كرويا»(١٠).

ورغم هذا التأثر الواضح إلا أننا سنجد أن المعلم الثانى خالف المعلم

الأول فى بعض الأمور حيث كان الفارابى متأثرا فيها بعناصر إسلامية كتسمية عالم ما فوق القمر «بعالم الأمر» وعالم ما تحت فلك القمر بعالم الخلق»[١١].

هذا بالنسبة لأفلاطون وأرسطو، أما بالنسبة لتأثره بالأفلاطونية لمحدثة فإننا نلحظ هذا التأثر فى كثير من المبادئ التى استقاها الفارابى خاصة فى نظرية الفيض. وقد بنى الفارابى نظام الكون بأسره على نظرية الفيض، والكون وفقا لهذا النظام مركب من أفلاك كروية بعضها داخل بعض وتقدر عدد هذه الأفلاك بتسع أجرام فلكية، ولكل جرم منها عقل ونفس، أما العقل العاشر وهو العقل الفعال فيعنى بعالم ما تحت فلك القمر.

فحديثه إذن عن عقول الكواكب ومراتب العقول وصدور العالم على هيئة فيض، وخلعه صفات معينة على الأفلاك السماوية، منها تأثيرها فى إيجاد الأجسام فى عالم الكون والفساد. كل هذا يؤكد مدى تأثره بأفلوطين وأفلاطونيته المحدثة فى تقريره لنظرية الفيض التى تعتبر نقطة الالتقاء بين الطبيعيات من جهة عدد الأفلاك وتأثيرها، وبين العقول العشرة ومراتبها والتى هى ضرب من الميتافيزيقا من جهة أخرى[١٢] إذ أن هذه النظرية تفسر كيف صدرت الكثرة عن الوحدة، بمعنى أن الطبيعى إذا كان يسأل عن كيفية صدور الكثرة عن الوحدة فإن الإجابة على ذلك تكون من جانب الميتافيزيقى[١٣].

فإذا تركنا فلاسفة اليونان وانتقلنا إلى فلاسفة الإسلام ومتكلميه، فإن الفارابى لا يعدم أثرا إسلاميا كان له شأنه الكبير فى تعديل بعض الآراء اليونانية بما يتفق مع طبيعة الأثر.

فالمتكلمون سواء كانوا معتزلة أو أشاعرة أو من أهل السلف، ثم الكندى فيلسوف العرب كانوا ممن سبق الفارابى. فهل استفاد الفارابى منهم خاصة فى هذا المجال الطبيعى؟

بالنسبة للمتكلمين نجد أن الساحة الإسلامية التى عاش فيها الفارابى شهدت صراعهم وانقسامهم واختلاف آراءهم مما كان له أثره على بعض القضايا الفكرية التى آمن بها الفارابى سواء كان هذا الأثر سلبيًا أى بالنقد، أو إيجابيًا أى بالأخذ منهم، ولذا إلى آراء بعض المتكلمين السابقين عليه ونقده لهم فى بعض الآراء الخاصة بالسماء والعالم، وإن كان هذا الأثر يعد ثرا ضئيلا وهو يظهر بصورة واضحة فى مجال الإلهيات أكثر من مجال الطبيعيات وما ذلك إلا لأن المتكلمين لم يكن لهم مذهب خاص فى الطبيعيات. وهم وإن بحثوا فى الطبيعة فلا يمكن عدهم فلاسفة طبيعيين لأنهم أولا أساءوا فهم هذا المعنى فمعظمهم على أن الطبيعيين زنادقة لا يقرون بخالق العالم أو بوجوده(١٤).

كما أن دراسة الطبيعة عندهم ثانيا لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما كان الدافع الأساسى لأبحاثهم كلها تفهم الدين والدفاع عنه. وهذا اقتضى منهم دراسة المشاكل التى كان يثيرها خصومهم ومنها المشاكل المتعلقة بالطبيعة.

والفارابى وإن تأثر بهم من ناحية الهدف من حيث إنه بحث فى الطبيعيات، وتناول موضوعات السماء والعالم بالدراسة والبحث للوصول إلى خالق هذا العالم وإثبات فاعليته فى الكون وتدبيره شئونه، إلا أنه خالفهم فى المنهج الذى اعتمد عليه. فبينما يسعى الفلاسفة دائما إلى البرهان ويستندون إلى العقل من أجل الوصول إلى الحقيقة؛ نجد المتكلمين على العكس من ذلك يحصرون أقوالهم فى دائرة جدلية وإن كان النص رائدهم(١٥).

ورغم أن الفارابى لم يذكر فى مؤلفاته «الكندى» فيلسوف العرب، ولم يشر مطلقا إليه إلا أنه يبدو أنه تأثر به على وجه العموم. فقد بحث الكندى فى طبيعة الفلك فى رسالة له بعنوان «الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد» ورأى أن هذه الطبيعة مخالفة لسائر العناصر فجسمه لا حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس ولا يعرض فيه الكون والفساد وأنه غير مركب من نار

وماء وهواء وأرض لأن حركته لما كانت مستديرة فلا يمكن أن يكون مركب من هذه العناصر الأربعة المتحركة على استقامة(١٦).

ورغم تأثر الفارابى بما ورد لدى الكندى من آراء فى هذا المجال إلا أنه خالفه فى موقفه من صناعة التنجيم، فبينما يقبل الكندى أصل دلالة أحكام النجوم على ابتداءات الأعمال ويرى أن سبب استعمال الرموز فى كتب المنجمين هو حصر منافع أحكام النجوم فى أهل العلم والمستحقين، يرفض الفارابى هذا الأصل ويحكم أنه إما أن يقبل الإنسان أن صناعة النجوم صناعة صحيحة وهذا يتطلب القول أن الأسماء الرمزية ليست إلا مثالات لأمور تعاليمية وطبيعية، وإما أن يقول أنها تعنى الأشياء التى اعتدنا أن نفهمها عنها.

وهكذا فصناعة أحكام النجوم كما يفهمها الكندى ليست صناعة طبيعية بل صناعة يحكم بها المنجم على سعد ونحس ابتداءات الأعمال اللاإرادية التى تكون عن فكر وروية بينما يحصر الفارابى آثار النجوم على الأشياء الطبيعية التى قد تصل إلى مزاج الإنسان الطبيعى ولكنه يرفض رفضا باتا إن صح الحكم من جهة الأجسام السماوية على الإرادات التى تكون عن الروية والفكر الصحيح(١٧).

ولكن إذا كان الفارابى قد تأثر بمن سبقه سواء من فلاسفة اليونان، أو فلاسفة الإسلام فى تقريره لنظريته فى السماء والعالم. فإن أثره فيمن جاء بعده من الفلاسفة كان تأثيرا لا حد له.

ولقد ظهر هذا التأثير أول ما ظهر على معاصرى الفارابى «إخوان الصفا» فقد بحثوا فى رسائلهم مسائل السماء والعالم كمعرفة جواهر الأفلاك وكميتها، وكيفية تركيبها، وعلة دورانها، وعلة حركات الكواكب والأفلاك، وعلة سكون الأرض فى وسط الفلك(١٨).

ولا شك أن معظم هذه الأمـور قد بحثها الفـارابى من قبل وبشىء من التفـصيل فى نظريته فى السـماء والعالم وفى ذلك يقـول المستشـرق الفرنسى ديلاس أوليرى «أما رسائلهم (أى رسائل إخوان الصـفا) فى الميتافيزيقا، وعلم النفس، والإلهيات والـفيض والنفس الكلية والعالم فـهذا كله ليس إلا إعادة لتعـاليم الفـارابى والأفلاطونيـة المحدثة وربما أضـيف إليهـا ألوان طفيـفة من التصوف. وعلى سبيل المثال فـالله عندهم خارج الكون أو فى عالم لا يعرفه الإنسان، وحتى العقل مـوجود أيضا فى عالم هو غير العـالم الذى تعيش فيه النفس البشـرية، أما النفس الكليـة التى تتخلل الأشـياء كلها فـهى فيض من الروح وهذه الروح بدورها تفيض من الله.

وبمقارنة هذا القول بتعاليم الفارابى نرى أنها مبنية على نفس المادة[١٩].

كذلك ظهر هذا التأثير على فيلسوف المشرق «ابن سينا» ذلك الفيلسوف الذى أقام مذهبه بالكامل على دعائم المذهب الفارابى حتى أن «أوليرى» يقول «وليس من الصعب المبالغة فى تقدير أهمـية الفارابى، فالواقع أن كل ما نلقاه فـيمـا بعد عـند ابن سينا وابن رشـد مـوجود فـعلا فى صـلب مادة تعـاليم الفارابى»[٢٠].

أما تأثره بالفارابى فى مجال دراسة أحوال العالم سواء كان عالم ما فوق القمـر أو عالم ما تحت فلك القـمر فقد عـرضه بصورة واضحـة «د. عاطف العراقى» فى كتابه «الفلسفة الطبيعـية عند ابن سينا» إذ يقول «أما الفارابى فقد سبق أن بينت أنه قال بحركة خاصة للأفـلاك السماوية تختلف تماما عن حركة العناصر الأرضـية، كما أن الكثـير من رسائله قـد تناول موضوعات السـماء والعالم بحيث يمكن القول بأن دراساته هذه أفادت فيلسوفنا «يقصد ابن سينا» أكبر الفائدة.

فالفارابى فى معرض بيانه لأحكام الأفلاك قد درس العناصر وصفاتها وبين أنها أربعة، كما أثبت أن الأجرام السماوية وإن شاركت المواد الأربع فى تركيبها من مادة وصورة فإن مادتها مخالفة لمادة الأركان الأربعة، كما أن حركتها وضعية دورية، أما الحركات الكائنة الفاسدة فإنها مكانية مستوية وعلى ذلك فهى مستقيمة وليس لحركته ضد.

ويعقب على ذلك بقوله «وسنجد كيف أن هذه الصفات كلها سيأخذها ابن سينا عن الفارابى ويقررها كأحكام للأفلاك، كما قرر وجود العناصر الخاصة بعالم ما تحت فلك القمر حتى أن «الطوسى» شارحه الكبير قد أشار إلى أنه قد حاذى فى ذلك كلام الفارابى»(٢١).

ولم يقف تأثير الفارابى على فلاسفة المشرق فحسب، بل امتد هذا التأثير وشمل فلاسفة المغرب والأندلس ابتداء بابن باجة ثم ابن طفيل ثم ابن رشد، كما كان له تأثيره الكبير على الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون.

فابن باجة يعتبر من فلاسفة المغرب الذين ساروا فى منهجهم فى الطبيعيات على الخط المشائى الذى نقل إلى البيئة الإسلامية، وهو كثيرا ما يذكر الفارابى ويستدل بآرائه وبراهينه خاصة فى مسائل السماء والعالم(*).

وأما ابن طفيل فمما لا شك فيه أن الدارس لقصة «حى بن يقظان» يلاحظ أنه سواء فى دراسته للآراء التى تدخل فى مجال الطبيعة، والآراء التى تدخل فى إطار الإلهيات قد استفاد استفادة كبيرة من الآراء التى سبق أن توصل إليها فلاسفة قدامى خاصة أرسطو، وفلاسفة مسلمين كالفارابى وابن سينا كما كان مستفيدا بالذات من المعلم الثانى «الفارابى» فى فصله بين الأحكام التى تنطبق على العالم العلوى والأحكام التى تنطبق على العالم السفلى(٢٢).

فالفارابى فى أكثر من كتاب من كتبه يدرس طبيعة الأجرام السماوية، ويبين لنا أن الأجرام وإن شاركت المواد الأربع فى تركيبها من مادة وصورة إلا أن مادتها مخالفة لمادة العناصر الأربعة، كما أن حركتها وضعية دورية. أما الحركات الكائنة الفاسدة فهى مكانية مستوية. وعلى ذلك يكون طبع الفلك طبع خامس لا حار ولا بارد ولا ثقيل ولا خفيف وليس فيه مبدأ حركة مستقيمة وليس لحركته ضد. وهذه الأحكام هى التى أقام عليها ابن طفيل مذهبه فى السماء والعالم(٢٣).

فإذا انتقلنا إلى «ابن رشد» وجدنا أنه يذكر كتاب «الفلسفتين للفارابى» فى كتابه «تفسير ما بعد الطبيعة» ويشير إلى بعض المواقف التى ربما يكون المعلم الثانى قد خالف فيها المعلم الأول(٢٤). كما أنه وقف من فلسفة الفارابى موقف الناقد المدرك لعمق الفكر الفارابى. حتى أنه فى نقده لآراء الفلاسفة القائلين بالفيض ومنهم الفارابى يستند فى نقده إلى التمييز بين العالم العلوى (عالم ما فوق فلك القمر) والعالم السفلى (عالم ما تحت فلك القمر). ويرى أننا يمكن أن نصعد من العالم السفلى إلى العالم العلوى عن طريق بيان تأثير العالم العلوى فى العالم السفلى، ثم الصعود من العالم العلوى إلى الله تعالى الذى يخرج ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل ودون أن نكون مضطرين إلى القول بترتيب العقول على النحو الذى قال به الفارابى وابن سينا(٢٥).

كذلك كان تأثير الفارابى على فيلسوف الأندلس «موسى بن ميمون» تأثيرا كبيرا، ويشير ناشر كتاب «دلالة الحائرين» إلى بعض المسائل الفلسفية بين «أبى نصر الفارابى» وبين «موسى بن ميمون» مما يبين تأثر فلاسفة اليهود بالثقافة والأفكار الإسلامية، وهذا يؤكد أهمية الدور الذى لعبته الحضارة الإسلامية فى تاريخ الحضارة العالمية.

ويظهر هذا الأثر بصورة واضحة حين نقرأ «كتاب دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون، وحتى فى مناقشاته لنصوص «التوراة» نجد أن هذه المناقشة تصدر عن مفكر تأثر بفلاسفة الإسلام والثقافة الإسلامية.

ولقد كانت موضوعات الفلسفة الإلهية من فلسفة الفارابى هى المجال الرئيسى الذى تأثر به «ابن ميمون». ولكن ذلك لم يمنع أنه تأثر أيضا بموضوعات الفلسفة الطبيعية خاصة فى بيان خصائص وأحكام الأفلاك، وكيفية تأثير العالم العلوى فى العالم السفلى وإيجاد موجوداته. كذلك استعار موسى بين ميمون تشبيه الفارابى للعالم وأجزائه بجسم الإنسان حيث نجده يقول «وكما أن فى جسم الإنسان أعضاء رئيسه وأعضاء مرؤوسة مفتقرة فى بقائها لتدبير العضو الرئيس الذى يدبرها كذلك فى العالم بجملته أجزاء رئيسه وهو الجسم الخامس المحيط وأجزاء مرؤوسه مفتقرة لمدبر وهى الأسطقسات وما يتركب منها، وكما أن العضو الرئيس هو القلب متحرك دائما «وهو مبدأ كل حركة توجد فى الجسم، وسائر أعضاء الجسم مرؤوسه منه وهو يبعث لها قواها التى تحتاجها لأفعالها بحركته، كذلك الفلك هو المدبر لسائر أجزاء العالم بحركته، وكل حركة فى العالم مبدأوها حركة الفلك، وكل نفس توجد لذى نفس فى العالم مبدأوها نفس الفلك» وما ورد فى نص ابن ميمون هو بعينه ما ذكره الفارابى فى كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة مما يبين عظم تأثير الفارابى عليه(٢٦).

وهكذا نجد اسم فيلسوفنا يتردد بلا انقطاع عند فلاسفة العرب وغير العرب سواء عند من تابعه منهم أو من خالفه مما يؤكد المكانة التى تبوأها الفارابى واستحق بها أن يكون المعلم الثانى.

ثانيا: العالم (موجوداته ومراتبها فى الوجود):

يقول الفارابى «المبادئ التى بها قوام الأجسام والأعراض التى لها ستة أصناف لها ست مراتب عظمى كل مرتبة منها تحوز صنفا منها:

السبب الأول: فى المرتبة الأولى.

الأسباب الثوانى: فى المرتبة الثانية.

العقل الفعال: فى المرتبة الثالثة.

النفس: فى المرتبة الرابعة.

الصورة: فى المرتبة الخامسة.

المادة(*): فى المرتبة السادسة.

وإذا كانت الموجودات الثلاث الأولى تتميز بأنها ليست أجساما ولا هى فى أجسام، فإن الثلاثة الأخيرة منها تتميز بأنها ليست هى أجساما ولكنها فى أجسام أو مخالطة للأجسام.

وتتصف هذه الموجودات سواء كانت ليست فى أجسام، أو فى أجسام بأنها موجودات روحية عقلية.

وسنرى أن الفارابى قد اهتم بهذه الموجودات الروحية لأن موضوع الفيض أو الصدور يتبلور حولها بصفة خاصة (سنتناول ذلك بالتفصيل فى الفصول الخاصة بالفلسفة الإلهية).

وبواسطة فعل الفيض يصدر عن السبب الأول (الله) جملة من العقول تسع عقول فى المرتبة الثانية من ترتيب الفارابى لموجودات العالم العلوى ويسميها «الأسباب الثوانى» وكل واحد من هذه العقول مسئول عن وجود فلك ونفس، فتتكون الأجسام السماوية وتكون عالم ما فوق فلك القمر

بالإضافة إلى العقل الفعال وهو العقل العاشر آخر العقول السماوية. إلا أن هذا العقل لا يصدر عنه شيء لأنه الواسطة بين هذا العالم، وعالم ما تحت فلك القمر(٢٧).

هذا عن مراتب الموجودات الروحية أو العقلية، أما مراتب الموجودات المادية فهى ست مراتب إذ يقول" والأجسام ستة أجناس: الجسم السماوى، والحيوان الناطق، والحيوان غير الناطق، والنبات، والجسم المعدنى، والأسطقسات الأربع، والجملة المجتمعة من هذه الأجناس الستة من الأجسام هى العالم"(٢٨).

فإذا كانت الموجودات المادية تبدأ بالجسم السماوى فإن هذا الجسم أو الفلك كما يطلق عليه الفارابى يتكون من تسعة أجرام أو كواكب يلتف بعضها حول البعض وهى مراتب أيضا، فنجد أولا كرة السماء الأولى، يليها كرة الكواكب الثانية، فكرة زحل، فكرة المشترى، فكرة المريخ، فكرة الشمس، وكرة الزهرة، وكرة عطارد، ثم كرة القمر.

وعند كرة القمر ينتهى فيض الأجسام السماوية أو الموجودات المطلقة التى تقع تحت تأثير عالم الكون والفساد، لأن السماء الأولى هى أعلى الأفلاك، وكرة القمر أدناها وجميع هذه الأفلاك محيطة بالأرض، والأرض ثابتة فى المركز.

ونلاحظ أن كل كوكب يفعل فيما تحته ولكنه ينفعل أيضا بما فوقه، فهو فاعل من حيث إنه ينقل صور الأشياء إلى الكوكب الذى يليه، وهو منفعل من حيث إنه يتقبل صور الأشياء، أما الكوكب الوحيد الذى يفعل دون أن ينفعل فهو ذلك الأثير فهو فاعل فى الكل، إلا أن طبقات الأفلاك كلها تأخذ أفعالها كلها من المحرك الأول لهذا العالم فنجد أولا: كرة السماء الأولى يأخذ فاعليته من المحرك الأول، ثم يلى ذلك كرة الكواكب الثابتة وباقى

الكواكب مرتبة حسب الأشرف والأفضل طبقا لقربها من المحرك الأول وهو سبب الأسباب والغاية القصوى التى يؤمها كل الموجودات.

وهكذا يمكن القول بأن الفلك هو الفاعل لما تحته دائما.

ثم تأتى الأجسام الآدمية فى المرتبة الثانية (الحيوانات الناطقة)، ثم أجسام بقية الحيوانات (غير الناطقة) فى المرتبة الثالثة، ثم أقسام النبات فى المرتبة الرابعة، ثم فى أجسام المعادن فى المرتبة الخامسة، ثم الأسطقسات الأربعة (الماء - النار - الهواء - التراب) فى المرتبة السادسة.

فإذا كان الكون بأسره كما مر بنا يتكون من الموجودات العقلية والموجودات المادية، -فإن العالم سواء كان العالم العلوى وهو عالم ما فوق فلك القمر، أو العالم السفلى وهو عالم ما تحت فلك القمر يتكون أساسا من الأجسام الستة المادية التى ذكرناها سابقا، إذ يقول" والجملة المجتمعة من هذه الأجناس الستة من الأجسام هى العالم"(٢٩) ويقصد بالعالم هنا العالم الحسى لأن مراتب موجوداته مادية حسية.

ونلاحظ أن هذا النظام الترتيبى الذى اتبعه الفارابى فى ترتيب موجوداته لم يكن ترتيبا عشوائيا، بل كان ترتيبا" يخضع لنظام الترقى والتدرج صعودا حتى يبلغ كل نوع أقصى كماله، وسوف نلاحظ أن الموجودات تحت فلك القمر تبدأ بالهيولى الأولى المشتركة وهى التى لا صورة لها وتلك تمثل أدنى مراتب الموجودات، وفوقها العناصر الأربعة، ثم الجماد ويليه النبات، فالحيوان، ثم الحيوان الناطق(٣٠)، وكل مرتبة مختلفة تماما عن الباقيات فى التكوين الطبيعى.

وهذا التدرج يتفق مع المراتب السابقة لمكونات العالم المعقول من حيث النزول تدريجيا من المعقول إلى المحسوس وقد رتبه الفارابى على هذا الأساس

ليبين درجات الوجود والكائنات من حيث البعد عن العقلانية والقرب من المادية.

كما نلاحظ أن الأجرام السماوية وضعت على رأس مراتب العالم المحسوس لبيان ما لهذه الأجرام من تأثير فى الموجودات، التى تلبها، وكأنها حلقة اتصال بين المعقولات والموجدات الصرفة، وبين الماديات والمحسوسات الصرفة(٣١).

أما عن طبيعة الأجسام التى يلتئم منها العالم فيذكر الفارابى فى شرحه لفلسفة" أرسطو طاليس" أن عدد الأجسام البسيطة الأول التى يلتئم منها العالم "خمسة" منها الجسم الأقصى الذى يتحرك حركة مستديرة، ومنها الأربعة الباقية المشتركة فى مادتها ومتباينة بصورها، إذا كان الجسم الأقصى هو السبب فى وجود تلك الأربعة، ودوام وجودها وأوضاعها، فإن الأسطقسات الأربعة هى التى منها يتكون سائر الأجسام التى تحت ذلك الجسم الأقصى الذى طبيعته الأثير،" أما تلك الأسطقسات الأربعة التى يتكون بعضها من بعض ولا تتكون هى عن جسم أبسط منها ولا عن جسم أصلا فهى الجواهر الأولى الطبيعية"(٣٢).

ولقد اهتم الفارابى ببيان تأثير العالم العلوى فى العالم السفلى وذلك عن طريق العقل الفعال والجسم السماوى، ولاشك أن المفكرين المسلمين منذ الكندى ومروا بالفارابى وابن سينا حتى نصل إلى ابن خلدون، كانوا يشيرون دائما إلى ما يوجد من تأثير العالم العلوى فى العالم السفلى من حيث تحديد الطباع، والأخلاق، والأنواع، والنباتات، والمعادن والحيوان بحسب قرب أو بعد هذا المكان من الأجرام السماوية المؤثرة وخاصة فلك القمر، إذ أن العقول السماوية وفقا لنظرية الفيض الفارابية تنتهى إلى عقل فعال واحد مجرد عن

المادة يكون سببا لوجود الأنفس، وعلة لوجود الأركان الأربعة بواسطة الأفلاك.

وتلعب الأفلاك هنا دورا رئيسيا فى عالم الكون والفساد من حيث إن الحركة الدورية الصادرة عنها تكون سببا فى اشتراك العناصر الأربعة فى عنصر واحد، كما أن تباين حركاتها بسبب اختلاف الصور الأربع وتغيرها من حال إلى حال بسبب تغير المواد الأربع ذاتها ويحدث عن ذلك الكون والفساد فى العالم(٣٣).

ونلخص من هذا إلى أن الفارابى قد قسم الكون وفقا لأصناف موجوداته وخصائصها قسمة ثنائية إلى:

العالم العقلى أو الروحى، والعالم المادى أو الحسى، وقد وضح لنا مدى الارتباط بين العالمين فلا انفصال بينهما، ومن ناحية أخرى فإن الفارابى يورد تقسيما آخر للعالم فى كتابه" فصول منزعة" يقسم فيه العالم وفقا لموجوداته أيضا قسمة ثلاثية فيقول: " وأجناس الموجودات ثلاثة: البريئة عن المادة، والأجسام السماوية، والأجسام الهيولانية، والعوالم ثلاثة: روحانية، وسماوية، وهيولانية".

فالروحانية: من طبيعتها أنها مما لا يمكن أن يوجد ولا فى وقت أصلا.

أما السماوية: فهى فى طبيعتها وجوهرها أنها توجد حينا.

أما الهيولانية: فهى فى القسم الذى يمكن أن يوجد وألا يوجد.

ويرى الفارابى أن أفضلها وأشرفها وأكملها ما لا يمكن أن لا يوجد أصلا. وأخسها وأنقصها ما يمكن أن يوجد وألا يوجد، أما الذى لا يمكن أن لا يوجد فى حين ما فهو متوسط بينهما فإنه أنقص من الأول وأكمل من الثالث(٣٤).

وسواء صنف الفارابى موجودات العالم فى صنفين أو ثلاثة أصناف، فإنه قد قسم العالم من حيث الخصائص والأحكام إلى: عالم ما فوق فلك القمر، وعالم ما تحت فلك القمر وهو ما سنوضحه فى القسم التالى.

***

obeikandl.com

ثالثًا: العالم.. أقسامه

القسم الأول: العالم العلوى (عالم ما فوق فلك القمر)

١ - طبيعته:

بحث الفارابى فى طبيعة الفلك أو الأجسام السماوية، وبين أنها مخالفة لسائر العناصر، ذلك أنها فاضت عن "العقول الثوانى" فأول هذه العقول يلزم عنه وجود السماء الأولى كما ذكرنا إلى أن ينتهى إلى السماء الأخيرة أو كرة القمر.

وجوهر كل واحد من هذه الأجسام مركب من شيئين: من موضوع، ومن نفس، . إلا أن أنفسها مباينة لأنفس الكائنات الحية فى النوع، وهى مفردة عنها فى جواهرها. وبها تتجوهر الأجسام السماوية وعنها تتحرك دورًا، وهى أشرف وأكمل وأفضل وجودًا من أنفس أنواع الحيوان التى لذينا، وذلك أنها لم تكن بالقوة أصلاً ولا فى وقت من الأوقات. بل هى بالفعل دائمًا من حيث إن معقولاتها لم تزل حاصلة فيها منذ أول الأمر، ومن حيث إنها تعقل ما تعقله دائمًا[٣٥] فتعقل ذاتها، وتعقل الثانى الذى صدرت عنه وتعقل الأول.

وهذه الأنفس توجد فى موضوعات لكنها متبرئة من أنحاء النقص التى فى الصورة والمادة ولما كانت فى موضوعات فهى تشبه الصور من هذه الجهة. غير أن موضوعاتها ليست فى مواد بل كل واحدة منها مخصوصة بموضوع لا يمكن أن يكون ذلك موضوعًا لشىء آخر غيرها[٣٦].

وهى من مراتب الموجودات فى أول مراتب النقص لأن الشىء الذى تتجوهر به بالفعل يحتاج ضرورة إلى موضوع - كما ذكرنا سالفًا - إلى جانب أنها غير مكتفية بجواهرها فى أن يحصل عنها شىء آخر غيرها.

ورغم أن هذه الجواهر ذات أعظام محدودة وأشكال محدودة وذوات كيفيات محدودة إلا أنه صار لها من كل ذلك أفضلها فصار لها أفضل الأمكنة، أما أشرف وجوداتها فقد وفيت من أول الأمر إذ يقول "أنها أعطيت أفضل ما تتجوهر به من أول أمرها وكذلك أعظامها وأشكالها والكيفية المرتبة التى تخصها[٣٧] وهو هنا يساير أرسطو الذى يقول "والفلك جرم شريف إلهى جدًا ومتقدم قبل هذه كلها (أى سائر الموجودات) تقدمًا كبيرًا"[٣٨].

ورغم أنها وفيت أكثر وجوداتها على التمام، إلا أنه بقى منها شىء يسير ليس من شأنها أن يعرض لها دفعة من أول الأمر بل يوجد لها شيئًا فشيئا فى المستقبل، ولذلك فهى تسعى لتناله بدوام الحركة فلا تنقطع حركتها وهى تتحرك وتسعى إلى أجسن وجودها[٣٩].

ولكن إذا كانت الأجرام السماوية دائمة الحركة فما هو مصدر حركتها؟ وهل هى صادرة عن جهة الحس أو التخيل أم من جهة التصور الذى يكون بالعقل؟.

يرى الفارابى أنه من الممتنع أن يكون للجرم السماوى حواس، إذ وضعت الحواس فى الحيوان من أجل السلامة. وما يقال عن الحواس يقال عن التخيل هذا بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن يكون تخيل دون حس. ولو كانت حركة هذا الجرم عن الحواس أو عن التخيل لم تكن حركته واحدة متصلة[٤٠]. وإذا كان ذلك كذلك لم يبق إلا أن يكون حركته عن الشوق فإن تحركه ليس لداع أو لغرض شهوانى أو غضبى بل للشوق إلى التشبيه بالمبادىء العقلية المفارقة حتى يظل باقيًا على الفعل ويلزم عنه تكوين ما بعده[٤١].

وعلى هذا فحركتها واحدة متصلة، والأجرام السماوية ليس لها من قوى الأنفس سوى العقل، والقوة الشوقية أى الحركة فى المكان "لما كان الفلك كامل فى كل شىء إلا فى وضعه وأينه، فإنه يدرك هذا النقصان فيه

بالحركة"[٤٢]. والجسم السماوى من جوهره وطبيعته وفعله أن يلزم عنه أولاً وجود المادة الأولى، ثم بعد ذلك يعطى المادة الأولى كل ما فى طبيعتها وإمكانها واستعدادها أن تقبل الصورة كائنة ما كانت[٤٣] كما أنه من طبيعتها ألا يتأخر عنها فعلها لأن الأجسام السماوية فى جواهرها على كمالاتها الأخيرة، والشيء إذا كان على كماله الأخير" وكان من شأنه أن يصدر عنه فعل لم يتأخر عنه فعله، وحصل من ساعته بلا زمان، وقد يتأخر فعل ما هو على كماله الأخير بعائق من خارج ذاته وذلك مثل أن يعاق ضوء الشمس على الشيء المستتر بحائط، ولكن نظرًا لأنه لا أضداد لها ولا لموضوعاتها فلا عائق لها بوجه أصلاً ولذلك لا يتأخر عنها فعلها.

والأجسام السماوية إذا كانت ليست متضادة فى جواهرها، إلا أن نسبها من المادة الأولى نسب متضادة وهى منها بأحوال متضادة. إذ تلحق الأجسام السماوية لاختلاف أوضاع بعضها من بعض ولأجل اختلاف أوضاعها من الأرض أن تقرب أحيانًا وتبعد أحيانًا، وتبطىء أحيانًا. وهذه متضادات ليست فى جواهرها ولكن فى إضافتها بعضها إلى بعض أو فى إضافتها إلى الأرض، أو فى إضافتها إلى الأمرين[٤٤].

على أن هذه التضادات التى تلحق إضافتها ينتج عنها حدوث تضادات فى المادة الأولى وفى الأجسام التى تحت السماء. ومن هنا يظهر تأثير الجسم السماوى على العالم الأرضى.

٢ - إثبات وجود مادة الأثير للأجسام السماوية:

من دراسة الفارابى لنظرية الحركة وإثباته وجود الحركة فى المكان، والكم، والكيف، والوضع، ومن بيانه لأنواع الحركة المكانية وأنها لا تخرج من ثلاث: إما مستقيمة وهى التى تسير فى خطوط متوازية متساوية فى آن

واحد، وإما مستديرة أى حركة دائرية، وإما حركة تعد مزيجًا من المستقيمة والدائرية.

ومن هاتين النقطتين ينتهى الفارابى إلى بيان طبيعة العنصر الخامس الخاص بحركة الأفلاك الدائرية إذ يقول "أن طبيعته طبيعة خامسة"(٤٥). ولكى نوضح ذلك نقول: إن الفارابى قد أثبت سابقًا أن حركة النقلة هى شرط لكل حركة أخرى، وأنها أولى الحركات. إذ أن حركة النمو والنقصان، وحركة الاستحالة تفترض كلاهما حركة النقلة، ولهذا كانت حركة النقلة شرطًا لكل حركة أخرى. ولكن وكما ذكرنا سابقًا فليست حركة النقلة فحسب هى الحركة الوحيدة المتصلة، بلْ نوع واحد منها فقط هو المتصل وهى الحركة الدائرية. إذ أنها لما كانت عديمة الطرفين وليس لها نقطة بدء ونهاية ووسط فمن هذه الجهة تكون كالمتصلة. هذه الحركة هى حركة الأجرام السماوية، وكما يقول الفارابى متابعًا فى ذلك أرسطو إلى حد كبير "فحركتها إذن مستديرة وتتميز هذه الحركة باتصالها وسبب اتصال الحركات المستديرة الإرادات المتصلة"(٤٦).

فإذا كان عالم الأفلاك أو الأجرام السماوية حركته مستديرة، فإن عالم العناصر الأربعة حركته مستقيمة. فالأرض إلى أسفل، والنار إلى أعلى، والماء والهواء بينهما إذ هما أثقل وأخف، وعلى ذلك يكون ترتيب العناصر مبتدئًا بالأرض فالماء فالهواء. فالنار. وهذا الترتيب قائم على أساس أقرب العناصر إفراطًا فى ماهيته ثم الأنقص فالأنقص(٤٧).

فإذا كانت العناصر الأربعة متحركة مستقيمة من أعلى إلى أسفل والعكس، فإن عنصر الجرم المتحرك حركة دائرية يختلف فى مادته عن مادة الأجسام الأرضية المتغيرة. وعلى ذلك تكون مادة الأجرام السماوية هى الأثير أو العنصر الخامس(٤٨).

ومن خصائص هذه المادة أنه لا ضد لها، ولذلك فهى غير متغيرة ومن طبيعتها أنها تتحرك على استدارة. يقول الفارابى "والأجرام السماوية وإن شاركت المواد الأربع فى تركيبها من مادة وصورة، فإن مادة الأفلاك والأجرام مخالفة لمادة الأركان الأربعة والكائنات[٤٩]" ويعقب الفارابى بقوله وقد بين أرسطو طاليس أن الجسم الذى يتحرك حركة مستديرة من أجزاء العالم ليس صورته صورة شيء آخر من أجزاء العالم ولا مادته مادة شيء[٥٠].

٣ - صفات الأفلاك:

ورغم أن آراء الفارابى حول أحكام الأفلاك وصفاتها قد تناثر فى كتبه ورسائله، إلا أنه خصص بعض فصول فى كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" للحديث عنها. فخص "الفصل العاشر" من الكتاب وهو بعنوان "القول فى الموجودات الثوانى وكيفية صدور الكثير" للحديث عن الأجرام الفلكية التسعة وكيفية وجودها وفى "الفصل الثالث عشر" والذى جعل عنوانه "القول فيما تشترك الأجسام السماوية فيه "فيتناول أحكام الأفلاك. وفى "الفصل الرابع عشر" وهو بعنوان "القول فيما فيه وإليه تتحرك الأجسام السماوية ولأى شيء تتحرك" وكذلك "الفصل الخامس عشر" والذى عنوانه "القول فى الأفعال التى توجد بها الحركات الدورية وفى الطبيعة المشتركة لها" يتناول الفارابى فى هذين الفصلين حركة الأجسام السماوية، وخصائصها والطبيعة المشتركة لها. أما فى الفصل "السادس عشر" والذى عنوانه "القول فى الأسباب التى عنها تحدث الصورة الأولى والمادة الأولى" فإنه يتناول تأثير عالم ما فوق فلك القمر فى العالم السفلى.

وهكذا فإذا كان الفارابى قد أثبت سابقًا أن الأجرام السماوية مكونة من مادة خامسة تختلف عن المواد الأربع الأرضية، كما أن حركتها دائرية فى حين

أن العناصر الأخرى تتحرك على استقامة فإن الفارابى يخلع عليها صفات وخصائص أخرى من أهمها:

١ - أنها تامة الوجود. والتام الوجود هو الشيء الذى لا يوجد خارجًا منه وجود من نوع وجوده يقول الفارابى: "وكذلك كل ما كان من الأجسام تامًا. لم يمكن أن يكون من نوعية شيء آخر غيره مثل الشمس، والقمر وكل واحد من الكواكب الأخر"(٥١) ولذلك فقد حصلت لها فى كمالاتها الأفضل فى جواهرها منذ أول الأمر. ولا يمكن أن يكون جوهره سائر الأجسام التى منها ألف العالم.

٢ - يرتب الفارابى الأجرام السماوية حسب فكرة الأفضل والأشرف فيضعها فى المرتبة الثالثة بعد الأول وبعد العقول، ثم يفاضل بين السماوات، ويجعل السماء الأولى أفضلها وأشرفها ثم الثانية، وهكذا حتى فلك القمر تاسع الأجسام السماوية(٥٢) وهذا الترتيب الذى وضعه الفارابى قائم على أساس القرب أو البعد من الموجودات الروحية. فكلما قرب كانت العناصر الروحية فيه أكثر من المادية وهكذا... إلخ.

٣ - يرى الفارابى أن الأجسام السماوية محددة للجهات بكونها ذا إحاطة ومركز، لأن هذا الجسم ليس بمتكون عن جسم آخر، ولا فى حيز آخر بل هو مبدع ولذلك يحفظ الزمان فلا يمثل ولا يحتاج إلى جسم آخر يحدد جهته، بل هو يحدد الجهات "والجهة تظهر فى الأجسام السماوية لأنها محيطة ولها مركز"(٥٣).

٤ - وبناء على ذلك فإن هذه الأجسام لها حيز واحد لأن الجسم البسيط له حيز واحد وشكل غير مختلف فى أجزائه(٥٤).

٥ - ولما كانت طبيعته طبيعة خامسة فهذا الجسم "لا يعد حاراً ولا بارداً ولا خفيفًا ولا ثقيلاً[٥٥]" ويعلل "ابن سينا" ذلك بأن الحرارة والبرودة لا زمان منعكسان على الخفة والثقل. فالمادة إذا أمعن فيها التسخين خفت، وإذا خفت سخنت فلا خفيف إلا وهو حار. كما يعرض لها إذا بردت بشدة أن تثقل وإذا ثقلت بشدة فإنها تبرد فلا ثقيل إلا وهو بارد. وعلى هذا فإن الحر والبرد يكونان منعكسين على الثقل والخفة[٥٦].

٦ - أنه ليس من خصائص الجسم المتحرك بالاستدارة أن ينخرق إذ يقول "والفلك لا يخرقه شيء[٥٧]" ويؤكد ذلك بقوله "وإنه لا يقبل الانخراق[٥٨] وذلك لأن الانخراق لا يمكن أن يكون إلا بحركة من الأجزاء على استقامة. أما هذا الجسم الذى فيه مبدأ ميل مستدير فقط فليس قابلاً للخرق.

٧ - لما كانت الأجسام السماوية لها طبيعة مشتركة وهى التى بها صارت تتحرك كلها بحركة الجسم الأول وهى حركة دورية فى اليوم والليلة، فهذه الحركة ليست قسراً لأنه لا يمكن أن يكون فى السماء شيء يجرى قسراً[٥٩]. كما أن الحركة لا تدخل عليه بل هى طارئة عليه فقد تحقق جوهره، ولذلك قيل الفلك ليس فى الحركة والزمان بل مع الحركة والزمن[٦٠].

٨ - وقد ذكرت سابقًا عند حديثى عن طبيعته أن حركته مستديرة، وتتميز هذه الحركة باتصالها. وهكذا فإذا كانت حركة الفلك حركة مستديرة فهو بالتالى ليس له مبدأ حركة مستقيمة ولا ضد لصورته ولا ضد لحركته[٦١].

٩ - أن لكل واحد من الأكر والدوائر المجسمة التى فيها حركة على حيالها فأما أسرع أو أبطأ من حركة الأخرى مثل كرة زحل وكرة القمر، فإن كرة القمر أسرع حركة من كرة زحل[٦٢]. وهذا التفاضل فى حركتها لا يكون بسبب إضافتها إلى غيرها، بل لأن لها هذا فى أنفسها وبالذات. فالبطىء عنها بطىء دائمًا، والسريع سريع دائمًا أيضًا "إذ تلحق الأجسام السماوية لاختلاف أوضاع بعضها من بعض، ولاختلاف أوضاعها من الأرض من جهة أخرى. وأن تقرب أحيانًا من الشىء وتبعد أحيانًا، وأن تجتمع أحيانًا وتفترق أحيانًا. . . إلخ. وهذه المتضادات ليست فى جواهرها ولكن فى إضافتها بعضها إلى بعض أو فى إضافتها إلى الأرض أو إلى الأمرين جميعًا[٦٣]. ومثال ذلك طلوع الشمس وغروبها فإنهما نسبتان لها إلى ما تحتها متضادتان، كما أن اختلاف أوضاعها يجعل بعضها يسرع نحو الأرض كما ذكرنا أو يبطىء.

وهكذا فالجسم السماوى أول الموجودات التى تلحقها أشياء متضادة، وأول الأشياء يكون فيها تضاد هى نسبة هذا الجسم إلى ما تحته ونسب بعضها إلى بعض[٦٤].

١٠ - والحركة الفلكية وإن كانت تتجدد إلا أنها واحدة بالاتصال والدوام، ومن هذه الجهة تكون كالثابتة[٦٥] ثم أنه لا يصح فيها أيضًا السكون[٦٦]. ويثبت "أرسطو" أن حركة الفلك دائمة لا انقطاع لها ولا تسكن حركته لأن موضع ابتداء حركته هو موضع آخر حركته فلذلك صار دائم الحركة لا يسكن[٦٧].

١١ - أن حركة الفلك نفسانية لا طبيعية، والنفس الفلكية هى أيضًا التى يصدر عنها أفعال غير مختلفة بإرادة. أما الطبيعية فهى التى

تصدر عنها أفعـال غير مختلفة من غـير إرادة، وعلى ذلك فالفارق يكمن فى وجود الإرادة وعدمها "وإن مـبدأ الحركة والسكون إذا لم يكن من خارج فإما أن يكون لحـركة لا تتبدل وبلا إرادة أو لسكون كذلك ويسمى طبيـعة، وإما أن يكون لحركات مختلفـة متبدلة وبلا إرادة يسمى نفـسانية، وإمـا أن يكون حركات بإرادة وكـيف كانت وهذه إما نفس حيوانية وإما نفس فلكية"(٦٨).

١٢ - إن الأجرام الفلكية لا يوجد لها حواس، ولا لها القوى المتخيلة. يقـول الفـارابى: "وليس فى الأجـسام السـمـاوية من الأنفس لا الحـساسة ولا المتـخيلة بل إنما لهـا النفس التى تعقل فـقط" ويعلل الفارابى ذلك بأن أنفس الأجرام الفلكيـة مفردة فى جوهرها وذلك لأنهـا لم تكن بالقـوة أصـلاً، ولا فى وقت من الأوقـات بل هى بالفعل دائمًـا من قبل أن معقـولاتها لم تزل حاصلة فيـها منذ أول الأمر(٦٩).

أما "ابن سينا" فقد زعم أن لها قوى متخيلة، ولو كان الأمر فى الأجـرام السمـاوية على مـا يقوله ابن سـينا من أنهـا تتخـيل الأوضاع التى تتبدل عليها لم تكن حركـتها واحدة ومتصلة لتعاقب اختلاف الأمور المتخيلة(٧٠).

١٣ - أن له من الأشكال أفضلها وهى الكرية، ومن الكيفيات والمرئيات أفضـلها وهو الضـياء. إذ أن بعض أجـزائها فـاعلة للضيـاء وهى الكواكب، وبعض أجـزائهـا مشـقة بالفـعل لأنهـا مملوءة نورًا من أنفسها ومما تستفيده من الكواكب(٧١).

١٤ - إن هذا الجـسم الفلكى لا يجـوز تكونه من أجـسام أخـرى على سبـيل التركيب والمزاج. إذ أن صورته لا ضـد لها. وعلى ذلك لا

يجوز أن يكون تكونه من جسم آخر كما يكون الماء عن الهواء مثلاً بأن يبرد ويفارق الحر. فاكتساب المادة لصورة جديدة يلزمه زوال الصورة الأولى وإلا تفسد المادة التى هى مضادة للصورة الأولى. وهذا على عكس الأجسام السماوية، فإن صورها لا يمكن أن يكون لها أضداد وموضوع كل واحد منها لا يجوز أن يكون قابلاً لغير تلك الصورة ولا يمكن أن يكون خلواً منها(٧٢). يقول الفارابى "... وبعض تلك الأقاويل بين بها أرسطو طاليس أن الجسم الذى يتحرك حركة مستديرة من أجزاء العالم ليس لصورته صورة شىء آخر من أجزاء العالم، وبعض تبين به أنه ولا مادته مادة شىء"(٧٣).

١٥ - أن الأفلاك كلها متناهية وليس بورائها جوهر ولا شىء ولا خلاء ولا ملاء، والدليل على ذلك أنها موجوده بالفعل، وكل ما هو موجود بالفعل فهو متناه، ولولم يكن متناهيًا ما كان موجودًا بالقوة، فهذه الأجرام السماوية كلها موجودة بالفعل لا تحتمل زيادة واستكمالاً. ويستند الفارابى إلى قول أفلاطون" لو كان الموجود غير متناه وجب أن يكون بالقوة لا بالفعل"(٧٤).

١٦ - إن طبيعة الفلك مبدعة فهى غير كائنة ولا فاسدة. وكذلك طبيعة العناصر فهى غير كائنة ولا فاسدة وهى مستبقاه بأشخاصها الكائنة الفاسدة إذ يقول "وكذلك طبيعة كل واحد من العناصر مبدعة غير كائنة ولا فاسدة وهى مستبقاه بأشخاصها، وأما طبيعة هذه الأرض فإنها كائنة فاسدة"(٧٥).

وقد رد الفارابى على يحيى النحوى الذى اتهم أرسطو بأنه يقول أن العالم يتكون ولا يفسد ويستند إلى ما ذكره أرسطو فى "السماع الطبيعى"

ويرى الفارابى أن النحوى قد ناقض نفسه فى المقالة الرابعة من مقالاته إذ قال بنصه عند ذكر حجج أرسطو "حجته فى أن السماء غير مكونة وأنها لا تفسد". فأرسطو كما يرى الفارابى أراد أن يثبت أن السماء أو العالم الذى يتحرك حركة مستديرة هو الذى لا يتكون ولا يفسد، ولكن يحيى النحوى نقل قول أرسطو وجعله ينطبق على العالم بأسره، سواء كان عالم ما تحت فلك القمر أو عالم ما فوق فلك القمر مما أوقعه فى التناقض. إذ أن ما ينطبق على الجزء ليس شرطًا فى أن ينطبق على الكل وما تبين فى أجزاء العالم من حال أو شىء آخر لا يلزم ضرورة أن يكون فى العالم بأسره ولم يجعل بينهما فرقًا وذلك إما غفلة وإما تعمداً(٧٦).

القسم الثانى: عالم ما تحت فلك القمر (عالم الكون والفساد)

١ - عناصره وخصائصها وانفعالات بعضها عن بعض:

إذا كان الفارابى قد تناول بالدراسة فى القسم الأول طبيعة عالم ما فوق فلك القمر وخصائصه، وبحث فى الأجسام من جهة الحركة أو "النقلة" على أساس أن عالم ما فوق فلك القمر حركته مستديرة وعنصره الأثير، أما عالم ما تحت فلك القمر فحركته مستقيمة وعناصره "الماء والأرض والهواء والنار".

فإنه فى هذا القسم يتناول بالدراسة طبيعة الأجسام المؤلفة من العناصر الأربعة والتى من شأنها أن تكون وتفسد وتتحرك فى حركات مستقيمة، بحيث ينتهى من ذلك إلى تحديد الكائنات الموجودة فى هذا العالم. سواء كانت متشابهة الأجزاء كالمعادن، أو كائنات مختلفة الأجزاء كالنبات والحيوان.

وهذه الدراسة من الأهمية نظرًا لأنها مكملة لبحثه السابق عن عالم الأفلاك وموجوداته، والقسمان يرتبط كل منهما بالآخر وسوف يتضح لنا ذلك من إثباته واحدية العالم.

والفارابى يرى أن الأجسام التى تحت فلك القمر سواء كانت بسيطة وهى التى وجودها لا عن أجسام أخرى غيرها، أو مركبة وهى التى وجودها عن أجسام أخرى غيرها تتركب من العناصر الأربعة أو الأسطقسات"(*).

ونحن وإن كنا لا نشاهد هذه البسائط ولا نحس بوجودها إلا أننا نرى الأجسام المركبة ونعلم يقينًا أنها نشأت عن العناصر الأربعة. إذ أن القياس المنطقى يقودنا إلى أن الجسم المركب إذا كان يحتوى على حار ويابس فهذا يعنى وجود أجسام أول بسيطة تكون حارة ويابسة وعنها تتكون الأجسام المركبة "وهذه العناصر يتكون بعضها عن بعض ولا تتكون هى عن جسم أبسط منها لأنها الجواهر الأول الطبيعية"(٧٧). وحين عرض الفارابى مراتب الممكن جعل الأسطقسات فى المرتبة الثانية بعد المادة الأولى. وحددها بأنها هى التى حصلت لها وجوداتها بالأضداد التى تحصل فى المادة الأولى(٧٨) ولكن كيف ذلك؟؟.

لقد أثبتنا سابقًا عند الحديث عن مبادىء الموجودات أن هذه الجواهر الطبيعية تتركب من المادة والصورة فهما مقومان لها. ولما كانت المادة موضوعه لصور متضادة، إذ أنها قابلة للصورة ولضد تلك الصورة أو عدمها، أضحت الصور المحتاجة إلى المادة على مراتب، وتنوعت أشكال الأجسام تبعًا لاختلاف الصور والكيفيات إلا أن أدنى هذه الصور مرتبة هى صور الأسطقسات الأربع، وهى صور أربع فى مواد أربع وإن كان نوعها واحد بعينه، فالتى هى مادة للنار هى بعينها يمكن أن تجعل مادة للهواء ولسائر الأسطقسات. فإذا كانت العناصر كثيرة بالصور فهى واحدة بالمادة" والأسطقسات أربع وصورها متضادة، ومادة كل واحدة منها قابلة لصورة ذلك الأسطقس ولضدها. ومادة كل واحدة منها مشتركة للجميع وهى مادة لها ولسائر الأجسام الأخرى التى تحت الأجسام السماوية... ومواد الأسطقسات ليست لها مواد فهى المواد الأولى المشتركة لكل ما تحت السماوية"(٧٩).

هذه الصورة أو الكيفيات هى المكونة لماهية كل عنصر بحيث لو انعدمت كيفية الشيء لم يعد هو هو.

فالنار بفقدانها الحرارة لا تكون نارًا. ولما كانت المادة لا وجود لها بذاتها أصبحت الصور هى التى تهبها الحياة، وعلى ذلك فليست الصورة أعراضًا تلحق المادة لأن العرض يزول ويفنى ويتغير... إلخ. أما الكيفيات الأربع فلا تزول ولا تتقوم بغيرها لأن صور العناصر كما أنها لا تفسد كما يتوهم البعض عند امتزاج بعضها ببعض، فالكيفية تبقى كما هى فى الحقيقة دون أن تفسد. وما يحدث هو أن تتغلب كيفية على كيفية أخرى كأن تتغلب الليونة على اليبوسة أو الحرارة على الرطوبة فينسب الشيء إلى الكيفية الغالبة بحيث تنشأ الأجسام البسيطة نتيجة لالتقاء الكيفيات الأربع الأولى اثنين اثنين.

فالنار حرارة ويبوسة، والهواء حرارة ورطوبة، والماء برودة ورطوبة، والتراب برودة ويبوسة[٨٠] وفى ذلك يقول الفارابى: "إن هذه الأسطقسات الطبيعية التى هى أصول الكون والفساد... قابلة لاستحالة بعضها إلى بعض وأن الكائنة الفاسدة تحدث بأمزجة تقع فيها نسب مختلفة معدة نحو خلق مختلفة مقومة وأن من هذه الصور تنبعث الكيفيات المحسوسة"[٨١].

كما يقول "هذه الأجسام الأربعة البسيطة التى دون فلك القمر يستحيل بعضها عن بعض ويتكون بعضها عن بعض وفيها قوى تعطيها الاستعداد للفعل وهى الحرارة والبرودة، وقوى تعطيها الاستعداد لقبول الفعل وهى الرطوبة واليبوسة، وفيها قوى أخرى فاعلة منفعلة كالذوق الفاعل فى اللسان، والفم والشم الفاعل فى آله الشم، وكالصلابة واللين والخشونة واللزوجة. وهذه كلها تظهر من تلك الأربع التى هى الأولى"[٨٢].

ومن هذا نرى كيف طبق الفارابى نظريته فى مبادىء الموجودات والحركة على عالم الكون والفساد وعناصره.

كذلك استخدم نظريته فى المكان فى تحديد أماكن هذه العناصر. فقد ربط الفارابى كما ربط أرسطو من قبل بين وزن الشىء ونظريته فى المكان الطبيعى للعناصر، على أساس أن لكل عنصر فى الوجود مكانًا طبيعيًا يميل إليه بطبيعته(٨٣). فالتراب والماء وهما العنصران اللذان يتجهان بطبيعتهما إلى الانحدار إلى أسفل، أما الهواء والنار فهما يميلان بطبيعتهما إلى الصعود إلى أعلى، وهكذا فإن الأرض عنصر ثقيل رطب يابس، والهواء عنصر جاف بارد، والنار عنصر خفيف جاف حار، والماء عنصر ثقيل رطب بارد(٨٤).

ويتولى الفارابى مهمة الدفاع عن آراء أرسطو طاليس فى إثبات أن حركة الأجسام البسيطة ليست واحد بالنوع(٨٥) ويستند إلى عدد من الحجج والبراهين ليثبت كذب إدعاء "يحيى النحوى" ويبطل آراءه التى ناقض فيها أرسطو طاليس، والتى تتلخص فى أنه يرى أن الأجسام البسيطة حركتها واحدة بالنوع. ويستدل يحيى النحوى على ذلك بأن الأجسام التى تتحرك حركة مختلفة فى النوع طبيعتها مختلفة. وهذا القول صحيح كما يقول الفارابى إن كان أراد بالأجسام الأجسام البسيطة، ولكن ينبغى عليه أن يبين لنا أى الأجسام البسيطة المختلفة فى النوع وتتحرك حركة واحدة بعينها؟

فإذا كان الماء والأرض بسيطين وكل واحد منهما يتحرك بالطبع إلى الوسط، ثم الهواء والنار يتحركان من الوسط. فهذا يدل على أن الطبيعة التى يتحركان بها طبيعة واحدة. وهذا الاتصال صحيح كما يقول الفارابى ولكن ينبغى أن يبين لنا كيف تكون حركتهما واحدة بالنوع؟

ذلك لأن الأبعاد البسيطة بعدان: بعد الدائرة، وبعد الخط المستقيم. وكذلك فأجناس النقلة جنسان: - الحركة على الخط المستقيم، والحركة على الدائرة. وبالتالى فالجسم الذى يتحرك على استدارة تختلف طبيعته عن الجسم الذى يتحرك على استقامة(٨٦).

فالحركات البسيطة المستقيمة الطبيعية إذن نوعان: الحركة إلى مركز الكل للأجسام الثقيلة، والحركة من المركز والوسط للأجسام الخفيفة، فالأرض والماء يتحركان جميعًا إلى مركز الكل لذلك صارت حركتهما واحدة بالنوع رغم أن الأرض تتحرك أسرع من الماء فالسرعة والبطء لا يغيران النوع. وكذلك الحال فى النار والهواء فإنهما يتحركان من المركز وإن كانت النار أسرع حركة.

وهكذا يتضح لنا أن حركة الماء والأرض واحدة بالنوع، وأن النار والهواء كذلك. فإذا كان يحيى النحوى يرى أن الأرض والماء ليسا واحدًا بالنوع وكذلك الهواء والنار فمعنى ذلك أنه يجعل الأسطقسات اثنين لا أربعة. وهذا قول باطل.

كما زعم أن الذى يتحرك على استدارة، والذى يتحرك على استقامة. وإن كانا مختلفى الحركة بالنوع فليس يلزم أن تكون طبيعتهما مختلفة، بل ممكن أن تكون واحدة، ويستدل على ذلك بأن الماء والأرض مختلفة وإن كانت حركتهما واحدة بالنوع.

ويرد الفارابى على يحيى النحوى ويقول أن كلامه الذى قاله "فى الهواء والنار والماء والأرض" بأن حركتهما واحدة بالنوع كذب، وليس الأمر كما قاله، وذلك لأن مكان الماء غير مكان الأرض، وكذلك الهواء غير مكان النار. والحركة إنما تكون واحدة بالنوع متى كانت الغاية التى تخص المكان غاية واحدة فى النوع والمكان الذى يخصهما جميعًا واحدًا بالنوع. وإذا لم يكن مكان الماء والأرض واحد بالنوع فحركتهما ليست واحدة بالنوع(٨٧).

وقد تاثر موسى بن ميمون بالفارابى فى نظرته إلى حركة الأجسام الأسطقسية ووضح هذا التأثير فى قول ابن ميمون "وفى داخل هذه الكرة الدائرية التى تلينا مادة واحدة مباينة لمادة الجسم الخامس قبلت أربع صور أولى وصارت بتلك الأربع أربعة أجسام (الأرض - الماء - النار - الهواء). وكل

واحد من هذه الأربعة له موضع طبيعى خصيص به لا يوجد فيه غيره وهو متروك مع طبيعته. وهى أجسام ميتة لا حياة فيها ولا إدراك ولا تتحرك من تلقاء أنفسها، بل هى ساكنة فى مواضعها الطبيعية. فإن أخذ واحد عن موضعه الطبيعى بالقصر فعند زوال القاسر يتحرك للرجوع لموضعه على استقامة وليس فيه مبدأ يسكن به ولا يتحرك به على غير استقامة. والحركات المستقيمة الموجودة لهذه الأربعة أسطقسات إذا تحركت للرجوع لمواضعها حركتان: حركة نحو المحيط وهى للنار والهواء، وحركة نحو المركز وهى للماء والأرض. وإذا وصل كل منهما لموضعه الطبيعى سكن"(٨٨).

وهكذا أثبت الفارابى وجود عناصر أربعة، وبذلك رد على من حاول إثبات وجود عنصر واحد. كما أثبت أن لهذه العناصر كيفيات ليست بصور للأسطقسات، بل هى أعراض تابعة للصور الحقيقية، لأنها إن كانت صور فإن ذلك ينفى الفعل والانفعال الذى يكون بقوى متضادة لا تنبعث من صورة متفقة، بل تنبعث عن صور مختلفة وعلى هذا تكون الأسطقسات كثيرة كما تكون متناهية.

وفى ذلك يقول الفارابى "وإن الأجسام الأسطقسية توجد فيها قوى مهيأة نحو الفعل وهو الحرارة والبرودة وقوة مهيأة نحو الانفعال السريع والبطىء وهو الرطوبة واليبوسة، وأن القوى الأخرى الفعلية منهما والانفعالية هى كلها تابعة لتلك الأمور الأربعة الأول، وأنه ليس إلا واحد من هذه الأربعة بصورة للأسطقس، بل هى أعراض تابعة للصور الحقيقية"(٨٩).

فالحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة هى المبادىء التى بها تفعل الأسطقسات الأول بعضها فى بعض، وهى لها كلها كالالات، وأن الفاعلة الأولى هى صورتها التى بها ماهيتها ز ولكنها ليست هى أسطقسات الأجسام المركبة من حيث تلك الصور، بل من حيث لها هذه الكيفيات الأربع

الملموسة، فإنها إنما تفعل بالحرارة وتقبل أفعال غيرها بالرطوبة واليبوسة مختلطين، فالمبادىء التى بها تفعل الأجسام المركبة هى البرودة والحرارة، والمبادىء التى بها تقبل الانفعالات والآثار هى الرطوبة واليبس مختلطة باللذين يوجدان فيها.

كما أن الحرارة تعتبر هى المبدأ الأول الذى يفعل به الجسم المركب فعله، وهى الآلة الأولى غير الجسمانية والمبدأ الأول غير الجسمانى بعد الصورة الذى يفعل له الجسم فعله. أما البرودة فهى آلة ثانية غير جسمانية ومبدأ ثان غير جسمانى بعد الصورة(٩٠).

٢ - مذهبه فى الكون والفساد:

يعرض الفارابى مذهبه فى الكون والفساد بدقة محكمة بناء على ما توصل إليه من أحكام خاصة بمبادىء الموجودات. فهو قد ذهب إلى القول بأن مبادىء الأجسام ثلاثة فقط: وهى المادة والصورة والعدم (كمبدأ بالعرض)، كما أنه ذهب إلى أن العلة المادية للكون والفساد هى الهيولى القابلة للصور على التوالى أى أن فساد جوهر هو كون جوهر آخر والعكس بالعكس. وعلى هذا فهما صورتان لتحول واحد.

كما أن تمييزه بين الكون والفساد وهو الذى يقع فيه التغير دفعه، وبين المقولات الأربع الأخرى التى تقع فيها الحركة على التدريج. يعد أساسًا من الأسس التى يستند إليها فى تقرير مذهبه فى الكون والفساد. فما هى حقيقة مذهبه وكيف عرضه؟؟

يبدأ الفارابى أولاً بتعريف كل من الكون والفساد. فالكون هو تركيب ما أو شبيه بالتركيب، أما الفساد فهو انحلال. ويمكن أن نطلق على التركيب الاجتماع، وعلى الانحلال الافتراق.

والتحليل والتركيب لا يكون إلا فى عالم ما تحت فلك القمر أو عالم العناصر، لأنه لا تحليل ولا تركيب فى شىء واحد، بل أقل ما يقع عليه التحليل والتركيب شيئان. ولذلك لا يخضع عالم الفلك للكون والفساد لأنه واحد غير متكثر(٩١).

وتعتبر الأسطقسات الطبيعية هى أصول الكون والفساد. فالكون هو حدوث صورة جوهرية فى المادة والفساد بطلانها(٩٢).

فإذا رجعنا إلى نظرية الفارابى فى الحركة لوجدنا أنه يقرر أن التغيير لا يتم إلا بين ضدين. فيكون من لا وجود إلى وجود وهو الكون، أو من وجود إلى لا وجود وهو الفساد. فإذا تغير الشىء أو انتقل من وجود إلى وجود، أو من حال إلى حال كان هذا حركة. وتكون هذه الحركة فى الكيفية، كأن ينتقل الجسم من كيفية إلى كيفية أخرى كتسخين الماء وتبرده أو استبدال البياض بالسواد "فالاستحالة هى تغير يعرض للجوهر فى كيفيته"(٩٣)، وقد تكون بزيادة في الجسم فينمو الجسم أو ينقص ولكن صورته فى الحالتين تظل باقية.

وقد تكون فى الجسم حركة كمية دون زيادة ونقصان، كأن يقبل الموضوع نفسه مقدارًا أكبر أو أصغر بتخلخل أو تكاثف دون أن يكون هناك انفصال فى أجزائه. كما أن حركة الجسم فى المكان وانتقاله من مكان إلى آخر دون أن يتغير بالنمو ولا بالكيف كان هذا أيضًا حركة وتخضع لما يسمى بحركة النقلة، وهى الحركة الأساسية التى يمكن رد جميع الحركات إليها، إذ تعتبر شرط لحركتى الكم والكيف كما أثبتنا ذلك سابقًا.

وهكذا فمن تقريره لنظرية الحركة وبيان أنواعها يثبت استحالات العناصر نتيجة لتأثير بعضها فى بعض. "هذه المواد الأربع التى هى أصول الكون والفساد قابلة لاستحالة بعضها إلى بعض، والأشياء الكائنة الفاسدة

التى تظهر من الأمزجة التى تظهر فيها مع النسب المختلفة التى تعطيها الاستعداد لقبول الخلق المختلفة والصور المختلفة التى بها قوامها"(٩٤).

وعلى سبيل المثال إذا كانت المواد الأرضية مكونة من أربع عناصر هى "الماء والتراب والهواء والنار" وأن كل واحد منها يمثل اتحاد اثنين من خصائص أربع: جاف بارد، رطب وبارد، رطب ودافىء، جاف ودافىء. فإن كل عنصر منها قد يتحول إلى آخر وذلك عن طريق تحول إحدى الخصائص الأساسية إلى نقيضها مثلاً يتحول الماء إلى أرض عندما يتجمد وإلى هواء عندما يتبخر. وهكذا سائر العناصر فهذه استحالة، وإذا حصلت هذه التحولات فى الجوهر وبقى على نوعه فهو فساد(٩٥).

أما كيفية تفسير حركة الطبيعة وحدوث الأشياء فيها. فالفارابى يعرضها بدقة من خلال تشخيصه للعلاقة بين عالم ما فوق فلك القمر، وعالم الكون والفساد. فيقرر أنه نتيجة للطبيعة المشتركة للأجرام السماوية يلزم عنها وجود المادة الأولى المشتركة لموجودات عالم الكون والفساد، وعن اختلاف جواهرها يلزم وجود أجسام كثيرة مختلفة الجواهر، وعن تضاد نسبها وإضافاتها ينتج وجود الصور المتضادة فى الموجودات، وعن تبدل متضادات النسب عليها وتعاقبها فيلزم من ذلك تبدل الصور المتضادة على المادة الأولى.

فإذا حدث فى ذات واحدة نسب متضادة وإضافات متعاندة فى وقت واحد من جماعة أجسام فيها اختلاط فى الأشياء ذات الصور المتضادة وامتزاجاتها، فتؤدى هذه الامتزاجات المختلفة إلى حدوث أنواع كثيرة من الأجسام.

لكن هذه الأجسام تخضع عند الفارابى لقانون الترتيب فيحدث أولاً الأسطقسات، ثم ما جانسها من الأجسام مثل البخارات وأصنافها مثل الغيوم والرياح وسائر ما يحدث فى الجو والأرض والماء والنار، ثم يحدث فى هذه

الأسطقسات امتزاجات واختلاطات كثيرة متضادة، وبغير تضاد بتأثير القوى التى بها أو القوى التى تفعل بعضها فى بعض، أو القوى التى يقبل بها بعضها فعل بعض، ثم بتأثير من الأجسام السماوية فيحدث من اجتماع هذه الأفعال كلها أصناف من الاختلاطات والامتزاجات(٩٦).

فعندما تختلط لأسطقسات بعضها معه بعض ينتج من ذلك أجسام كثيرة متضادة ويسمى ذلك اختلاطًا أول.

وعندما تختلط هذه الأجسام المتضادة بعضها مع بعض فقط، وبعضها مع بعض ومع الأسطقسات ينتج من ذلك أجسام كثيرة متضادة الصور. ويسمى ذلك اختلاطًا ثانيًا.

وعندما يحدث فى كل جسم من الأجسام المتضادة الصور، قوى يفعل بها بعضها فى بعض، وقوى تقبل بها فعل غيرها فيها، وقوى تتحرك بها من تلقاء نفسها بغير محرك من خارج، ثم تفعل فيها الأجسام السماوية ويفعل بعضها فى بعض، وتفعل فيها الأسطقسات، وتفعل هى فى الأسطقسات أيضًا، فيحدث من اجتماع هذه الأفعال بجهات مختلفة اختلاطات أخرى كثيرة تبعد بها عن الأسطقسات والمادة الأولى بعدًا كثيرًا. ولا تزال تختلط اختلاطًا بعد اختلاط قبله فيكون الاختلاط الثانى أبدا أكثر تركيبًا مما قبله إلى أن تحدث أجسام لا يمكن أن تختلط فيحدث من اختلاطها جسم آخر أبعد منها عن الأسطقسات فيقف الاختلاط(٩٧).

وهكذا يتوالى ظهور الأجسام عن تلك الاختلاطات وإن كان كل اختلاط يظهر عنه أجسام مختلفة عن الاختلاط الذى بعده فالمعدنيات مثلاً تحدث باختلاف أقرب إلى الأسطقسات وأقل تركيبًا ويكون بعدها عن الأسطقسات برتب أقل، أما النبات فيحدث باختلاط أكبر تركيبًا وأبعد عن

الأسطقسات برتب أكثر، والحيوان غير الناطق يحدث باختلاط أكثر تركيبًا من النبات، ثم يحدث الإنسان من الاختلاط الأخير الذى ليس بعده اختلاط.

هذه الامتزاجات والاختلاطات التى تحدث فى الأجسام تصبح بها مهيأة لقبول النفوس من عالم ما فوق فلك القمر. يقول الفارابى "وأنه يجب في الأسطقسات بحسب نسبتها من السماويات ومن أمور منبعثة من السماويات أن يحدث فيها امتزاجات مختلفة تستعد بها لقبول النفوس النباتية والحيوانية والناطقة من الجوهر العقلى الآخر، وأن الكون والفساد وغيرهما إنما يكون بقرب العلل وبعدها وذلك هو الحركة"(٩٨).

وهكذا يفسر الفارابى ظهور الكائنات فى عالم الكون والفساد وقد جعلها الفارابى على ضربين:

١ - ضرب متشابه الأجزاء.

٢ - ضرب مختلف الأجزاء.

فما هى خصائص كل ضرب منهما؟؟

يرى الفارابى أن الموجودات المتشابهة الأجزاء هى التى تحدث بتركيب لا تبقى به ماهية كل واحد من تلك الأجزاء على الوجه الذى كان له، وهو تركيب الامتزاج الذى يحصل بفعل بعض فى بعض وانفعال بعض عن بعض. من هذه الأجسام المتشابهة الأجزاء المتكونة عن الأسطقسات: المعادن والأجسام الحجرية وما جانسها.

أما الموجودات المختلفة الأجزاء فهى التى تحدث بتركيب أجسام متشابهة بعضها إلى بعض تركيبًا تبقى به ماهية كل واحد من تلك الأجسام محفوظة، وهو تركيب تجاور وتماس. من هذه الأجسام الطبيعية المختلفة الأجزاء: النبات ثم الحيوان(٩٩).

وهكذا يبين الفارابى أن هذه المركبات التى تولدت عن العناصر الأربعة قد تكون ذو صورة لا نفس لها ويسمى معدنيًا، وذو صورة هى نفس غازية ونامية ومولده للمثل لا حس ولا حركة إرادية له ويسمى نباتًا، وذو صورة هى نفس غازية ونامية ومولده للمثل وحاسة ومتحركة بالإرادة ويسمى حيوانًا(١٠٠).

وإذا كان الفارابى قد بين لنا كيفية وجود الموجودات والكائنات فى هذا العالم الأرضى، فإنه لكى يبين لنا بقاءها ودوامها يعتمد على نظريته فى مبادىء الموجودات فكيف ذلك؟؟

يذهب الفارابى إلى أن الموجودات لما كان قوامها من مادة وصورة، وكانت الصورة متضادة، وكل مادة من شأنها أن توجد لها هذه الصورة وضدها، فصار لكل واحد من هذه الأجسام حق واستئهال بصورته، وحق استئهال بمادته. فإذا كان يحق له الوجود بحسب صورته بقى على وجوده الذى له، وإذا كان يحق له الوجود بحسب مادته فإنه قد يوجد وجودًا آخر مضادًا للوجود الذى له، وإذا لم يكن أن يوجد فى هذين معًا فى وقت واحد لزم ضرورة أن يوجد فى كل واحد منهما مدة ما ثم يتلف ويوجب ضده وهكذا. فليس وجود أحدهما أولى من وجود الآخر، ولا بقاء أحدهما أولى من بقاء الآخر. فكل واحد منهما له قسم من الوجود والبقاء.

وهكذا فالمادة الواحدة لما كانت مشتركة بين ضدين وكان قوام كل واحد من الضدين بها، ولم تكن المادة أولى بأحد الضدين دون الآخر، وفى نفس الوقت فلا يمكن أن توجد لكليهما فى وقت واحد، لزم ضرورة أنك تعطى تلك المادة أحيانًا هذا الضد، وأحيانًا ذلك الضد، ويعاقب بينهما فيصير كل واحد منها كأن له حقًا عند الآخر، ويكون عنده شىء ما لغيره، وعند غيره

شيء هو له، وعند كل واحد منهما حق ما ينبغي أن يصير إلى كل واحد[١٠١].

ولكي يتحقق العدل في هذه الموجودات لم يكن أن يبقى الشيء الواحد دائمًا على أنه واحد بالعدد، فجعل بقاءه الدهر كله على أنه واحد بالنوع، ولكي يبقى الشيء بالنوع فلابد أن يوجد أشخاص ذلك النوع مدة ما ثم تتلف ويقوم مقامها أشخاص أخرى من ذلك النوع[١٠٢].

وهكذا ومع ثبات قانون التحول الدائم في المادة الذي يقرره الفارابي تصبح دلالة الكون تركيبًا ما أو شبيهًا بالتركيب، ودلالة الفساد تحليلاً ما أو شبيهًا بالانحلال. وكل ما كان تركيبه من أجزاء أكثر كان زمان تركيبه أطول والعكس بالعكس[١٠٣].

وهكذا ينتهي الفارابي إلى تحديد الممكنات في عالم الطبيعة حيث يرى أنها تظهر على نحوين:

١ - ممكن يتحقق فيه الشيء أو لا يتحقق وهذا هو المادة بدلالتها المطلقة.

٢ - ممكن يتحقق بذاته وهو المركب من الاثنين معًا. المادة والصورة.

وأدنى هذه الممكنات مرتبة مالم يكن له وجود محصل ولا بواحدة من الضدين. وتلك هي المادة الأولى. والتي في المرتبة الثانية ما حصلت موجودة بصورة ما حصل لها بحصول صورها إمكان أن توجد وجودات متقابلة أيضًا فتصير مواد لصور أخر... ولا تزال هكذا إلى أن تنتهي إلى صور لا يمكن أن تكون الموجودات المتحصلة بتلك الصور مواد لصور أخر فتكون صور تلك الموجودات صورًا لكل صورة تقدمت قبلها وهذه الأخيرة أشرف الموجودات الممكنة، والمادة الأولى أخس الموجودات الممكنة[١٠٤].

وهكذا سيطرت على الفارابى فى دراسته لمراتب الممكنات فى العالم الطبيعى فكرة الأشرف والأفضل وهى الفكرة التى لازمته فى مختلف أجزاء فلسفته سواء كانت طبيعية أو إلهية أو سياسية أو أخلاقية. فهو يرى أن كل ما كان أقرب إلى طبيعة المادة الأولى كان أخس وأدنى، وكل ما كان أقرب إلى طبيعة صورة الصور كان أشرف وأسمى. والأشرف عند الفارابى هو كل ما هو أقدم فى ذاته ولا يصح وجود تاليه إلا بعد وجود مقدمه(١٠٥). وهذا رغم أن الفارابى يذهب إلى أنه لا توجد المادة مفارقة لصورة ما فى وقت أصلاً وهو موقف أرسطو طاليس.

٣ - نقد الفارابى لمن أنكر الكون والفساد:

يعتبر مذهب الفارابى فى الكون والفساد وقانون التحول الدائم فى المادة ردًا على من أنكر الكون والفساد، ويقوم نقده أساسًا على دحض اعتقادهم بأن البسائط مثل الأرض والماء والنار والهواء "لا تفسد جواهرها ولا شىء منها يوجد من حيث طبيعته، بل إنه مركب من الطبيعة التى ينسب إليها ومن طبائع أخرى. ويرى الفارابى أنهم قد أخطأوا حين فهموا قولنا" غير موجود "على أنه ليست له ماهية أصلاً وبالتالى فلا يمكن أن يصير موجودًا وأن يحصل عنه موجود بالفعل طالما أنه غير موجود وليس له ماهية، ويعلل قولهم ذلك بأنهم رأوا "أن ما يحس أشياء تحدث وتحصل بالفعل، وكان ما يحدث يسبق إلى النفس أنه يحدث عن غير موجود، وكان الأسبق إلى النفس عن غير الموجود، أنه لا ماهية له أصلاً لزم عندهم مجال إذ كان يلزم أن يحدث موجود من غير موجود، فاعتقد بعضهم أن هذا يلزم عنه أيضًا محال. إذ كان يلزم أن يكون ما هو الآن موجود حادث الوجود قد كان موجودًا قبل حدوثه، فأبطلوا الكون والحدوث وقالوا أن الأشياء كلها لم تزل ولا تزال وليس فيها شىء يحدث ويبطل"(١٠٦).

وينتهى الفارابى إلى أن هذا الفهم فاسد. لأنهم فهموا أن ما هو لا موجود لا ماهية له أصلاً.

كما أن الفارابى كما مر بنا من قبل قد تعرض بالنقد لمذهب "الجوهر الفرد" ودحض المقدمات التى استند إليها القائلون بأن الجسم يتكون من أجزاء لا يمكن أن تنتهى فى القسمة إلى ما لا نهاية، بل لا بد من وجود جوهر فرد أو أجزاء لا تتجزأ. وقد ذهب أصحاب هذا المذهب إلى أن افتراق الأجزاء هو فسادها واجتماعها هو كونها. ومن هنا فقد كان موقف الفارابى ومن قبله أرسطو من أصحاب المذهب القائل: بأن الطبيعة تنحل إلى وحدات صغيرة هى الذرات إنما يقوم على مذهبها فى اعتبار أن المادة الأولى أو الهيولى قد اكتسبت صورًا أربع وهى الكيفيات الأربع "الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة" بحيث نشأ عنها أربعة أجسام بسيطة هى "النار والهواء والماء والتراب" ومنها تتكون سائر الأشياء بحيث تنشأ الأجسام البسيطة نتيجة لالتقاء الكيفيات الأربع الأولى اثنين اثنين. فالنار حرارة ويبوسة، والهواء حرارة ورطوبة، والماء برودة ورطوبة، والتراب برودة ويبوسة(١٠٧).

وهكذا ينقد الفارابى أصحاب مذهب الجوهر الفرد من جهة تفسيرهم للكون والفساد لأن هذا المذهب لا يستطيع تقديم تفسير محدد لتنوع الموجودات فى عالمنا الطبيعى. فهو يقدم لنا وصفًا للكون والفساد عن طريق اجتماع الذرات وافتراقها، ولكنه لا يبين المبادىء التى تحكم هذا الاجتماع والافتراق.

ورغم صحة نقد الفارابى هذا إلا أننا يمكننا القول بأن مذهبه والذى تابع فيه أرسطو إلى حد كبير هو بدوره يحمل أخطاءًا قد تفوق أخطاء من نقدهم، فقد سبق أن ذكرنا أنه سيطرت على مذهبه فكرة القول والفعل، وهى بما تقوم عليه من جذور ميتافيزيقية سبق أن أوضحتها فى دراستى لمبادىء الموجودات الطبيعية عنده، لم توضح لنا عمليات الاستحالة والكون والفساد توضيحًا يقوم على النظرة الحركية الديناميكية بل تميزت بالتفسير الاستاتيكى الذى ساد معظم أجزاء فلسفته الطبيعية.

رابعًا: أثر العالم العلوى فى العالم السفلى:

تلعب الأفلاك والأجرام السماوية دورًا هامًا فى عالم الكون والفساد من حيث إن الحركة الدورية الصادرة عنها فى رأى الفارابى تكون سببًا فى اشتراك العناصر الأربعة فى عنصر واحد، وتباين حركتها تكون سبب اختلاف الصور الأربع وتغيرها من حال إلى حال بسبب تغير المواد الأربع ذاتها ويحدث عن ذلك الكون والفساد(١٠٨).

وقد سبق أن بينا أن الكون والفساد والاستحالة إذا كانت أمور متبدلة ومتغيرة، وأن لكل متغير أو متبدل سبب، فإن هذا يدل على وجود حركة مكانية مسببة لهذا التغير فهى مقربة الأسباب ومبعدتها، ومقوية الكيفيات ومضعفتها. وقد اتضح لنا ذلك عندما تعرضنا لدراسة الحركة عند الفارابى وأوضحنا أنه يجعل حركة النقلة هى أولى الحركات وأن سائر الحركات تحتاج إليها.

وإذا كانت مبادىء الحركات كلها ترجع إلى الحركة المستديرة، فإن الحركات السماوية المستديرة المقربة لقوى الأجرام العلوية ومبعدتها هى أسباب أولى للكون والفساد، كما أن عوداتها أسباب لعود أدوار الكون والفساد والحركة الحافظة لنظام الأدوار. وفى ذلك يقول الفارابى "ثم تلحق الأجسام السماوية لأجل اختلاف أوضاع بعضها من بعض، ولأجل اختلاف أوضاعها من الأرض، أن تقرب أحيانًا من الشىء وتبعد أحيانًا، وأن تجتمع أحيانًا وتفترق أحيانًا، وتظهر أحيانًا وتستر أحيانًا، ويعرض لها أن تسرع أحيانًا وتبطىء أحيانًا، وهذه متضادات ليست فى جواهرها ولكن فى إضافاتها بعضها إلى بعض، أو فى إضافتها إلى الأرض، أو فى إضافاتها إلى الأمرين جميعًا. وعن هذه التضادات التى تلحق إضافتها ضرورة تحدث فى المادة

الأولى صور متضادة وتحدث فى الأجسام التى تحت الجسم السماوى أعراض متضادة وتغايير متضادة"(١٠٩).

وقد أعطى الفارابى مثلاً لذلك بأن النار مثلاً تحتاج فى أن يكون عنها وعن الماء بخار إلى حرارة يتبخر بها الماء، كما تحتاج الشمس فى أن تسخن ما لدينا إلى أن تتحرك هى ليحصل لها بالحركة حرارة فيما لدينا(١١٠).

ولكن يتردد سؤال هام وهو لماذا لم يكن فى استطاعة عالم ما تحت فلك القمر أن يستقل بنفسه وبموجوداته عن تأثير العالم العلوى؟؟

يرد الفارابى على هذا التساؤل قائلاً أن الموجودات التى دون الأجسام السماوية فى نهاية النقص فى الوجود، وذلك لأنها لم تعط من أول الأمر جميع ما تتجوهر به على التمام فقد أعطيت جواهرها التى لها بالقوة البعيدة فقط لا بالفعل، أى أنها أعطيت مادتها الأولى فقط ولذلك فهى سباعية أبدا إلى ما تتجوهر به من الصورة، كما بلغ من تأخرها وتخلفها وخساسة وجودها أن صارت لا يمكنها أن تنهض وتسعى من تلقاء أنفسها إلى استكمالاتها إلا بمحرك من خارج. وهنا احتاجت إلى عالم ما فوق فلك القمر. ولم يكن محركها من خارج سوى الجسم السماوى وأجزاؤه ثم العقل الفعال. وفى ذلك يقول الفارابى "ما تحت فلك القمر أعطيت مادتها الأولى فقط. وهى بالقوة ولا يضير إلى استكمالاتها إلا بمحرك من خارج هو الجسم السمائى وأجزاؤه ثم العقل الفعال"(١١١).

وهنا يوضح لنا الفارابى مدي احتياج كائنات عالم ما تحت فلك القمر إلى معونة العالم العلوى. ولا شك أن هذا لن يتم إلا وفقًا لهذا النظام المحكم الذى وضعه الفارابى والذى بمقتضاه يجعل الله وهو المبدأ الأول يحرك جميع الأفلاك الحركة الخاصة بها، وهو الذى يأمر سائر المبادىء أن تأمر سائر

الأفلاك بسائر الحركات. وبهذا الأمر قامت السماوات والأرض. وقد صدرت هذه المبادىء بعضها وفقًا لنظرية الفيض التى قال بها الفارابى.

هذا الارتباط بين المبادىء هو الذى يوجب كونها معلولة بعضها عن بعض وجميعها عن المبدأ الأول. وهكذا ونتيجة لقرب هذا الجرم مما لدينا أو بعده واختلاف أوضاعه تحدث الحركات الكائنة الفاسدة وإلا لما أمكن وجود حركة حادثة عن محرك أزلى متحرك أزلى. فالسبب فى وجود كائنات فاسدة بالأجزاء أزلية الكل هو وجود موجود أزلى بالجزء والكل وهو الجرم السماوى(١١٢).

وهكذا فهذه الموجودات الممكنة لما لم يكن لها فى أنفسها كفاية فى أن تحفظ وجوداتها على أنفسها التى حصلت عليها، ولا أيضًا إن كان لها قسط وجود عند ضدها لم يمكنها من تلقاء أنفسها أن تسعى لاستيفائه، لزم ضرورة أن يكون لكل واحد منها من خارج: فاعل يحركه وينهضه نحو الذى له، وحافظ يحفظ عليه ما حصل له من الوجود.

فالفاعل الذى يحركه، والحافظ الذى يحفظ عليه ما حصل له من الوجود هو الجسم السماوى وأجزاؤه.

وقد بين الفارابى أن الجسم السماوى يفعل ذلك بأوجه مختلفة منها(١١٣):

١ - أنه يحرك بغير توسط وبغير آلة شيئًا منها إلى الصورة التى بها وجوده.

٢ - أنه يعطى المادة قوة تنهض بها من تلقاء نفسها فتتحرك نحو الصورة التى بها وجودها.

٣ - أنه يعطى شيئًا ما قوة فيحرك ذلك الشيء بتلك القوة شيئًا آخر غيره إلى الصورة التى بها وجود ذلك الآخر.

٤ - ومنها أنه يعطى شيئًا ما قوة يعطى بها ذلك الشيء شيئًا آخر قوة يحرك بها ذلك الآخر مادة إلى الصورة التى شأنها أن توجد فى المادة، وفى هذا يكون الجسم السماوى قد حرك المادة بتوسط شيئين. وقد يكون للمادة بتوسط ثلاثة أشياء وأكثر على هذا الترتيب.

ولا تنحصر مهمة الجسم السماوى فى تحريك الموجودات الممكنة فحسب، بل يقوم بمهمة حفظ ما حصل لها من الوجود على أوجه أيضًا:

١ - إما أن يجعل مع صورته التى بها وجوده قوة أخرى وذلك مثل المنى للحيوان الذكر فإنه بهذه القوة يفعل من المواد شبيهة فى النوع.

٢ - وإما أن يجعل ما يحفظ به وجوده فى جسم آخر خارج عنه، فيحفظ وجوده بأن يحفظ عليه ذلك الجسم الآخر، فيكون هذا الآخر كالخادم له فى حفظ وجوده. مثال ذلك الأفاعى فإنها آلة للأسطقسات أو خادم فى أن تنتزع من سائر الحيوان مواد الأسطقسات وذلك بأن تحل أنواع الحيوان إليها.

فهذه الآلات إن كانت مقترنة بالصورة فى جسم واحد آلات غير مفارقة وإن كانت فى أجسام أخر كانت آلات مفارقة(١١٤).

ولكن لا بد وأن تشير إلى أن تأثيرات الأجسام السماوية لا بد وأن يقابلها ما يظهر من تأثيرات قوى كل نوع من أنواع الموجودات، إذ أن تأثيرات الأجسام السماوية ليست ضرورية بل تجتمع من أفعال أخر قد تضادها وتمنع

فعلها، وهى أفعال الأمور الأرضية الكائنة عن جواهرها من طبائع ونباتات وحيوانات وأفعال إرادية للإنسان. فمثلاً نجد أن الأجسام السماوية قد تفعل فى الأجسام التى تحتها بسخونة أزيد أو أنقص، فتتبع مقادير تلك السخونة فى تلك الأجسام آثار وصور أخر وأعراض أخر تتبع تلك الصور والآثار، ولكن قد يحدث أن يعوقها أفعال أخر طبيعية مضادة لها من ذلك أفعال البخارات الباردة التى تنفق فى الهواء فى ذلك الوقت وأفعال أصناف المياه[١١٥].

وهكذا بعد أن يبين الفارابى ما للأجسام السماوية من تأثيرات فى وجود الأسطقسات وحركتها وحفظها. تساءل هل الأجسام السماوية فيها كفاية فى أن يحصل هذا ذا طبيعة، وذاك نفس وذلك ذا عقل؟؟

يجيب الفارابى على ذلك بأن الأجسام السماوية ليس فيها كفاية دون العقل الفعال فى وجود الموجودات التى يحتوى عليها عالم ما تحت فلك القمر. ويقرر أن العقل الأخير (الفعال) يصير سببًا للنفوس الأرضية من جهة تعقله للأول، وتصير عنه الأسطقسات من جهة ما يعقله من ذاته بتوسط السماوية ومن أمور منبثقة من السماويات يحدث فيها امتزاجات مختلفة تستعد بها لقبول النفوس النباتية والحيوانية والناطقة من العقل الفعال "فالسماوية معدة فقط"[١١٦].

ويفسر ذلك فى شرحه لفلسفة أرسطو طاليس حيث يقول "أنه إلى هاهنا لم يتبين أن الأجسام السماوية أعطت الأجسام الطبيعية سوى الحركة. ولذلك ينبغى أن يفحص أيضًا عن جواهر الأجسام السماوية، هل هى طبيعية أو نفس أو عقل أو شىء آخر أكمل من هذا؟ ولكن هذه أشياء خارجة عن النظر الطبيعى وينبغى أن يفحص عنها بوجه آخر غير النظر الطبيعى"[١١٧].

وبهذا يثبت الفارابى تأثير الأجرام العلوية فى جميع العناصر الأرضية بمعاونة العقل الفعال. وهو من خلال هذا التأثير يرد كل ما يحدث فى العالم إلى أسباب ضرورية تدرك بالفعل.

وإذا كان الفارابى قد وقع فى العديد من الأخطاء ناتجة عن التصور القديم للأفلاك السماوية ذلك التصور الذى أصبح فى ضوء العلم الحديث لا أساس له.

obeikandl.com

خامسًا: إثبات كروية الأرض وثباتها فى مركز الكون:

وفقًا لما تذكره كتب الفلسفة القديمة فإن إثبات كروية الأرض لم يكن أمرًا سهلاً ميسورًا، خاصة وأن المشاهدة الحسية تدلنا على أن الأرض بسيطة مستوية السطح. وقد كان "انكسيما ندروس" من أوائل الفلاسفة الطبيعيين الذين وضعوا فروضًا علمية توصلوا بها إلى تصور الأرض على شكل أسطوانى أو مخروطى نسبة قمته لقاعدته ٣: ١، وهى غير مرتكزة على حامل بل معلقة فى الفضاء وبفعل ما يشبه الجاذبية. ثم جاء "فيثاغورث" وأثبت كروية الأرض مستندًا إلى بعض الحجج، منها أن الشكل الهندسى الكامل هو الشكل الكروى لكمال انتظام أجزائه بالنسبة للمركز، ومنها أن الأجرام السماوية بما فيها الأرض لا يمكن تصورها إلا على هذا الشكل الكامل"(١١٨).

أما "أفلاطون" فقد ذكر صراحة فى "طيماوس" أن العالم كرويًا مستديرًا كامل الاستدارة، حيث جعل الأرض تجارى شكل الكرة وقد احتلت منه موقع المركز. وقد اعتمد "أرسطو" فى كتابه "السماء والعالم" استنتاجات طيماوس فأثبت كروية الأرض مستدلاً على ذلك ببعض الحجج والبراهين القائمة على الملاحظة والمشاهدة.

وقد انتقلت هذه الحجج فيما بعد مع غيرها من حجج فلاسفة اليونان إلى العرب فاعتمد الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم الكثير منها فى إثبات كروية الأرض(١١٩).

فالفارابى على سبيل المثال قد قال بكروية الأرض بناء على كروية العناصر كما فعل أرسطو حيث يقول "وشكل كل واحد من الأربعة على مثل الكرة" ويقول أيضًا "والعالم مركب من بسائط صائرة كرة واحدة"(١٢٠) أما

أرسطو فيقول "إذا تركنا جزء من المادة لنفسه فإنه يتهيأ بهيئة الكرة وإذا كانت الأرض ساكنة فإن شكلها بالتالى يكون كرويًا[١٢١].

كذلك تابع الفارابى أرسطو فى القول بثبات الأرض وسكونها فى مركز الكون بناءًا على المبادىء التى توصل إليها. فهى ساكنة لا حركة لها طالما أن صورتها الطبيعية واحدة وحيزها واحد، كما أنه لا عائق لها عن أن تكون فى حيزها الطبيعى، وأنه "أى الجسم" إن كان بسيطًا اقتضى حيزًا واحدًا وشكلاً غير مختلف أجزائه وذلك هو المستدير، ولذلك صار كل واحد من هذه الجواهر ذوات أعظام محدودة وأشكال محدودة وقد تبع ذلك أن يكون المكان الذى لها أفضل الأمكنة حيث يلزم ضرورة أن يكون كل جسم محدود فى مكان محدود[١٢٢].

ويؤكد الفارابى فى عرضه لفلسفة أرسطو طاليس ثبات الأرض فى موضعها، وهو الوسط بحيث لا يمكنها أن تتحرك عن الوسط أى ليس لها بجملتها انتقال عن مكانها ولا فى مكانها، ويستدل على ذلك بحركة العناصر إذ يقول... ويلزم أن تكون الأجسام المتحركة بالحركة المكانية التى أبسط ما تكون ثلاثة: فمتحرك حول الوسط، ومتحرك إلى الوسط، ومتحرك من الوسط" ثم يعقب بقوله "والجسم الذى فى الوسط وهو الأرض تجتمع فيه جميع الأسطقسات على ما ألزمنا وعلى أن الأمر الذى بين بالمشاهدة"[١٢٣].

وهكذا فالأرض كما يرى الفارابى ثابتة فى الوسط وتدور حولها تسعة أفلاك "والأجسام السماوية كثيرة وهى تتحرك باستدارة حول الأرض أصنافًا من الحركات كثيرة"[١٢٤].

وبذلك يكون الفارابى قد أنكر حركة الأرض حول محورها متابعًا فى ذلك أرسطو وعنه انتقلت إلى سائر المتكلمين والفلاسفة[١٢٥].

ورغم أن العلم الحديث بنتائجه التى توصل إليها والتى استغرقت قرونًا طويلة قد أثبت خطأ نظرية الفارابى ومن قبله أرسطو، حيث لم تعد الأرض هى مركز العالم لأنها ليست سوى واحدة من الكواكب السيارة العديدة التى تدور حول الشمس، أقول رغم خطأ هذه النظرية من زاوية العلم الحديث إلا أننا لا نكون منصفين إذا أثبتنا خطأ نظريته فى ضوء النتائج التى وصل إليها علم الفلك الآن. . . فلم تكن الدراسات التجريبية أو الآلات قد تطورت بهذا الشكل، ولا يمكن القول بأنه بالنسبة لفلاسفة العرب كان يمكنهم سبق عصرهم بقرون عديدة، إذ أن المحاولات التى قام بها العلماء لإثبات حركة الأرض من أيام "كوبرنيكوس" ثم "جاليليو" ثم "نيوتن" باكتشافه قوانين التثاقل العام وأخيرًا فوكهول عام ١٨٥١م بالتجربة التى أجراها فى فرنسا والتى انتهت إلى تغيير فكرتنا عن الأرض وأهميتها فى النظام الكونى.

أقول هذه المحاولات قد استغرقت الكثير من الوقت والجهد حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن(١٢٦).

سادساً: العالم واحد متناه:

أثبت الفارابى سابقًا أن عالم الأفلاك يختلف بخصائصه وأحكامه عن عالم الكون والفساد بحيث نجد هذا الاختلاف يتركز بصورة أساسية فى عدم التغير والثبات الذى فى الأجسام الفلكية، بينما نجد التحول والتغير فى الأجسام العنصرية وبحيث ترتب على هذا الفارق أن حركة الفلك اتسمت بأنها الحركة الدائرية لأن مضمونها هو العودة إلى نقطة الانطلاق. من حيث إن حركة الجسم المستديرة هى دورانه على نفسه حول مركزه. فهى لا توجب انتقاله فى المكان، كما لا توجب فيه تحولاً كيفيًا. بينما نرى عكس ذلك فى العناصر إذ أن حركتها المستقيمة تقتضى الانتقال فى المكان والتحول الكمى والكيفى. فهى إذن توجب تغيرًا فى الأجسام. وقد ترتب على هذا الفارق بين الأجسام الفلكية والأجسام العنصرية الاختلاف بين النوعين فى البساطة والتركيب ترتب عليه اختلاف فى الشكل بينهما كما أثبتنا.

فتميزت الأولى بالبساطة والشكل الكروى، وتميزت الثانية بالتركيب والأشكال المختلفة من دائرية ومستقيمة، وبينما كانت الأجسام الفلكية حركتها وزمانها "مبدعة" أى أزلية، كانت الأجسام الأرضية وحركاتها وزمانها كائنة فاسدة أى حادثة غير أزلية(١٢٧).

ورغم هذا الاختلاف والتباين الواضح الذى أثبته الفارابى بين العالمين "العلم العلوى، والعالم السفلى" إلا أنه يؤكد أن العالم واحد ويقول: "لا عالم غير هذه الكثرة المجتمعة من الأجرام السماوية والأسطقسات الأربعة"(١٢٨).

ولقد حاول الفارابى من أجل إثبات هذه الواحدية والاتصال إيجاد روابط بينهما، محاولاً هدم ما كان فى الأنظمة الفلسفية المثالية القديمة والوسيطة من فواصل حاسمة بينهما تمثلت فى إثباتهم وجود الخلاء، والأجزاء

التى لا تتجزأ ولا نهـاية لها وتتحرك فى هذا الخلاء بحـيث ترتب على قولهم هذا أنه: إذا كانت هذه الأجـزاء تتحرك حركـات غير محـددة، ويعرض عن حركاتها أن تجتـمع فى احياز لا نهاية لها ولا يمكن إحصائها، فإن اجـتماعها هذا يكفى أن يؤدى إلى ائتـلاف فى هيئات وعـوالم كثيـرة. وبذلك لا يكون العالم واحداً(١٢٩).

رفض الفـارابى هذا وأثبت أن العـالم واحد بناء عـلى فكرته فى المكان الطبيعى للأجسام فهـو يذهب إلى أن للسماء الإحاطة، وللأرض الحيز الوسط من الإحاطة، يلى ذلك حـيز الماء ثم حـيز الهواء ثم حـيز النار(١٣٠). وبناء على أن لكل جسم مكانه الطبيعى الذى لا يخـرج عنه إلا بالقسر، فلا يمكن أن يكون هناك عنصر ما كالتراب أو الماء مثلاً فى عالم ونفس العنصر فى عالم آخر، إذ أن هذا يؤدى إلى وجـود خلاء بينهما. وهو قد نفـى القول بالخلاء. ويكون من الصحيح القـول بأن العالم واحد وأن عناصره مـرتبة كل منها فى موضعه الطبيعى "ويلزم ضرورة أن يكون جسم يتحرك باستدارة محيطًا بسائر الأجسام الأخرى ولا خلاء به أصلاً وأن يكون مـا داخل ذلك الجسم أجسامًا متصلة ومماسـة إذ كان ليس فيما بينهـا خلاء أصلاً فسمى الجـملة التى تحتوى على جميع الأجسام المتصلة أو المماسة العالم"(١٣١).

"كـمـا يثبت الـفارابى واحـدية العـالم بناء على نظـريته فى مـبـادىء الموجودات، وإذا أخذنا فى اعتبارنا تمييز الفارابى بين الصورة النوعية والصورة الجسميـة كما أوضحنا سابقًا، لاتضح لنا مدى الاتصـال بين العالمين من جهة الصورة، كـما أن هذا الاتصال واضح أيضًـا من جهة المادة بعد أن أصـبحت تعنى عنده قابلية للتـشكل والامتداد بشكل عام سواء كـان ذلك فى الأجسام الأرضية أو الأجسام الفلكية.

فلم تعد المادة مبـهمة كما كانت عند أرسطو بل تحـددت بالامتداد الذى

هو أساس التشكل بالصورة الجسمية ويؤكد الفارابى ذلك بقوله. "ويشاركه الإنسان فى المادة"(١٣٢) أى يشارك الأجسام السماوية فى تكونه من المادة الأولى، كما بين التشابه بينهما بقوله: "وأن الأجرام السماوية وإن كانت مشاركة للأسطقسات والكائنات فى كون كل واحد منها ذا مادة وصورة، فإن مادة السماويات مخالفة لمادة الأسطقسات والكائنات. كما أن صور تلك مخالفة لصور هذه وأنها تشترك فى الجسمية لأن الأبعاد الثلاثة فيها مفروضة"(١٣٣).

وهكذا تسنى للفارابى إثبات وحدة العالم وعنه انتقلت إلى سائر الفلاسفة الذين جاءوا بعده وخاصة ابن سينا، وابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد إذ نجد عندهم بعض الأفكار التى تكشف عن تأثرهم بالفارابى الفيلسوف والذى اهتم بالبحث فى الفلسفة الطبيعية وخاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا اطلاعه الواسع على فلسفة أرسطو الطبيعية وأسبقيته على هؤلاء الفلاسفة.

***

تعقيب

تبين لنا فيما سبق كيف كان الفارابى مهتمًا اهتمامًا كبيرًا بالبحث فى الفلسفة الطبيعية، صحيح أنه كان متأثرًا بالفلاسفة الذين سبقوه، أى فلاسفة اليونان، ولكن الصحيح أيضًا أن الفارابى قد وضع بصماته البارزة على مجال الفلسفة الطبيعية. لقد كان مضيفًا تارة، حاذفًا تارة أخرى، وكانت لديه القدرة على الاطلاع على كثير من الآراء، ولكنه أضاف إلى ذلك قدرة كبيرة على الهضم، والاطلاع على العديد من الأفكار، ثم الصهر لهذه الأفكار بحيث تبدو وكأنها لم تكن مجرد نقل عن آراء السابقينز ومن هنا تحددت معالم الشخصية الفارابية والمنهج الفارابى فى تناوله لمسائل الطبيعيات وأيضًا لمسائل الإلهيات كما سيتضح لنا فى تناولنا لموضوعات الفلسفة الإلهية.

وقد وضح لنا كيف فسر الفارابى علم "الطبيعة" بمبادىء علم "ما بعد الطبيعة" فتداخلت المجالات الفيزيقية مع المجالات الميتافيزيقية فى أكثر الموضوعات التى تناولها بحيث شاب بعضها الغموض والخلط والاضطراب كأفكاره حول مبادىء الموجودات الطبيعية، وفكرة القوة والفعل وغيرها من الأفكار والمباحث سواء فى المجال الطبيعى أو المجال الإلهى. مما يؤكد لنا أن الميتافيزيقا قد ألقت بظلالها على فلسفة الطبيعة عنده.

ولو كان الفارابى قد أدرك أن العلم الطبيعى لا بد له من بحث الأمور الجوهرية الخاصة به حتى ما يبدو أنه متعلق فى ظاهره بالأمور الإلهية، لكان هذا أجدى وأنفع للعلم الطبيعى، ولتقدم خطوات نحو الاستقلال النسبى عن الفلسفة بمعناها الميتافيزيقى.

ولكن فى ضوء هذه النظرة المتكاملة نحو الفكر الفلسفى فى الإسلام، والنظر إلى الحقيقة الفلسفية على أنها واحدة يصبح من الضرورى بل من

المنطقى التلازم والترابط بين الفلسفة الطبيعية، والفلسفة الإلهية بحيث يؤدى هذا التلازم فى نهاية الأمر إلى قيام العلاقة والتداخل بين البدء والنهاية.

وهكذا فمن دراسة الفارابى لمبادىء الموجودات الطبيعية، وبيانه لطبيعة العلاقة بينهما من حيث استحالة تعرى الهيولى عن الصورة والصورة عن الهيولى، وأيضًا استحالة سبق أحدهما للأخرى فى الزمان فهما مبدعان ومبدعهما يتقدم الكل بالذات. من ذلك يصل الفارابى إلى إثبات أنهما محدثان بالذات قديمان بالزمان. إذ رأى الفارابى أنهما يفيضان بلا زمان عن العقل العاشر وبتأثير الأفلاك العليا فى العالم السفلى. وينتهى من ذلك إلى إثبات قدم العالم أو الحدوث الزمانى. وهو فى ذلك يفترق عن أرسطو الذى يرى قدم الهيولى والصورة. وبالتالى يثبت قدم العالم ذاتًا وزمنًا.

وحين أراد الفارابى إثبات أزلية العالم الأعلى وهو "عالم العقول والأفلاك" أضاف إلى هذا العالم بعض التصورات الميتافيزيقية كإضفائه صفة الحركة الدائرية المستمرة له، واعتبار عنصره مادة أثيرية وهى غير خاضعة لكون ولا فساد لأنها مبدعة لهذه الحركة الدائرية بزمان لا أول له ولا آخر. بينما نجده قد سلب هذه الحركة الدائرية عن عالم ما تحت فلك القمر أو العالم السفلى، كما جعل عناصره خاضعة لعوامل الكون والفساد.

وعندما تناول الفارابى موضوع "الحركة" واعتبرها انتقال من حال القوة إلى حال الفعل بحيث يظهر الشىء إلى حيز الوجود. أكد الفارابى أن هذا الإمكان فى الانتقال من حال إلى حال عائد إلى عملية واهب الصور وهو "الله" بواسطة العقل الفعال. وهنا يبدو كيف أقحم الفارابى الميتافيزيقا فى دراسته لموضوع من موضوعات الطبيعيات مما أدى إلى الخلط والاضطراب وعدم وضوح الرؤية.

ورغم اهتمام الفارابى بنظرية السببية وبيانه العلاقة بين الأسباب ومسبباتها، إلا أنه لم يحاول الاستفادة من هذه النظرية فى تفسير ظواهر الكون، بل نحا بها نحواً ميتافيزيقيا حيث أثبت وجود سبب الأسباب وهو الله (تعالى). ليس هذا فحسب بل إن تركيزه على القول بالعلة الغائية كعلة رابعة من علل الموجودات الطبيعية والوصول من ذلك إلى سبب لهذه الغائية، سرعان ما نجده يعمم أفكار العناية والغائية بحيث يبدو الكون كله مظهراً لعناية الخالق به، فكان ذلك دليلاً عنده على وجود الله بالإضافة إلى استناده إلى دليل كونى يعتمد على بيان استناد الظواهر الأرضية إلى ظواهر علوية، وفى كل ذلك ما يشهد بوجود إله خالق مسبب لهذا الكون بكل ما فيه.

كما لا يمكننا إنكار أن نظرية "الفيض أو الصدور" رغم أنها تفسر عملية الخلق وظهور الكثرة عن الواحد - وهى من هذه الناحية جزء من مباحث الإلهيات - إلا أن مجال هذه النظرية كما سيتضح لنا يمتد إلى الجانب الرياضى من العلم الطبيعى خاصة ما يتعلق بقضايا الفلك وحركات الكواكب ونفوسها، والتى فسرت بنحو من العقلانية التقليدية فى تناول الفارابى لها. فالنظرية لا يمكن إضافتها إلى العلم الطبيعى فحسب لأنها جزء أساسى من مباحث الإلهيات يبين علاقة الله (تعالى) بالكون.

هذا بالإضافة إلى أن "نظرية الاتصال" التى قال بها الفارابى ورغم أن أبعادها المعرفية والميتافيزيقية واضحة تمام الوضوح نظراً لوجود "العقل الفعال" كمبدأ روحى مستقل موجود خارج الإنسان يولد بتأثيره على الإنسان معرفة جواهر الأشياء، إلا أن نظرية الاتصال عنده تلتحم بنظرته الشاملة عن الكون ما دام هذا العقل الفعال فى مفهومه هو العقل العالمى الذى يعتبر الحلقة الأخيرة من سلسلة فيض العقول الكونية (أو هو عقل عالم ما تحت فلك

القمر عقل الكون والفساد) وفى هذا العقل الكونى تنحصر أشكال أشياء العالم المادى، وباتصال العقل الفعال بالفعل الإنسانى الكامن يكسب الأخير أشكال التفكير لمعرفة جوهر الأشياء. وهذا يعتبر دليل آخر على ارتباط الجانب الطبيعى بالجانب الإلهى فى فلسفته.

فإذا نظرنا إلى مشكلة النبوة والتى تعتبر من أخص خصائص مباحث الإلهيات، والتى تناولها الفارابى بالبحث والدراسة نجد أنه أقام رأيه فيها على دعائم من علم النفس، إذ أن الفارابى يفسر النبوة تفسيراً سيكولوجيًا حيث يجعل الاتصال بالعالم الروحى أو العقل الفعال ميسوراً لمن يملك مخيلة قوية تمكنه من إدراك الحقائق سواء كانت فى صورة الوحى أو الرؤيا الصادقة. كما أنها ميسورة أيضًا لذوى العقول المستنيرة والهمم البارزة، وكلنا يعرف أن المخيلة والعقل هما من قوى النفس الناطقة، وهى من هذه الناحية لها علاقة بالبدن أولها علاقة بأحوال المادة وحركاتها. فهى صورة البدن وحركته وبالتالى فهى جزء من الطبيعيات وقد جعلها من الأقسام التى يهتم ببحثها العلم الطبيعى.

على أن الفارابى فى دراسته للمجالات النفسية قسمها إلى قسمين: قسم يدخل فى المجال الطبيعى يدرس فيه أنواع النفس وكذلك الحواس المختلفة والحس المشترك والتخيل والعقل... إلخ، وقسم آخر هو أقرب إلى مجال الميتافيزيقا يجعل محور دراسته أساسًا البرهنة على حقيقة النفس ومصيرها بعد الموت.

وأود أن أشير إلى أن دراستنا للمجالات النفسية هنا لن تكون بصورة موسعة إلا بقدر ما أحتاج إليه فى تفسير أمر من الأمور، كتناولى للعقل ومراتبه حين حديثى عن نظرية الاتصال، وكذلك تناولى للمخيلة كقوة من قوى النفس حين تناولى لموضوع النبوة.

وأخيرًا أود أن أشير إلى أن الفارابى وهو أول فيلسوف يتناول هذه المسائل بالبحث والدراسة كان متأثرًا إلى أبعد حدود التأثر بظروف عصره، ذلك العصر الذى شاعت فيه نزعة التوفيق والتقريب بين النظريات والخروج من ذلك بمذاهب متوسطة، فظهرت الأشعرية لتوسطها بين أصحاب العقل وأصحاب النقل، وصادفت الشافعية نجاحًا لتوسطها بين الحنفية والمالكية، وجاء الفارابى وبذل جهدًا جبارًا للجمع والتوفيق بين مذاهب المتقدمين ونظرياتهم المتباينة، ولم يكتف بذلك بل راح يؤكد أن الفلسفة واحدة، وأن الحقيقة الفلسفية غير متعددة مهما تعددت المذاهب وتباينت الآراء، وسواء أكانت الفلسفة طبيعية أم إلاهية فإن الهدف واحد وهو: "معرفة الخالق تعالى، وأنه واحد غير متحرك وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء وأنه المرتب لهذا العالم بجوده وحكمته وعدله" فلا فرق بين معرفتنا له عن طريق دليل كونى أو عن طريق عقلى منطقى أو عن طريق قلبى إيمانى. فالحقيقة واحدة لأن منبعها واحد.

***

المصادر والمراجع

١ - إحصاء العلوم ص٩٦.

٢ - عيون المسائل ص٢٥ - ٢٦.

٣ - إحصاء العلوم: ص٨٥ - ٨٦ (وهذا التقسيم لعلوم الهيئة ليس بنادر عند المتأخرين فنجده مثلاً عند "الأنصارى الأكفانى" فى كتاب "إرشاد القاصد إلى أسن المقاصد" غير أن الأنصارى أضاف وجهًا رابعًا إلى الوجوه الثلاثة التى ذكرها الفارابى وهو بيان مقادير أجرام الكواكب وأبعادها ومسافة أفلاكها، وإن كان هذا داخلاً فى الوجه الأول عند الفارابى) كارلونيلينو. علم الفلك وتاريخه ص٢٤.

٤ - هذه الرسالة نشرت ضمن كتاب نصوص فلسفية تحقيق د. عثمان أمين ص٦٠ - ٦١ (ونلاحظ أن الفارابى يلخص فيها رأيه فى الأحكام النجومية بأنها اسم مشترك يقع على ثلاثة أمور لا تشترك إلا فى الاسم. أولها أمور ضرورية موجودة أبدا هى أجرام الكواكب وأبعادها وهو جزء من علم التعاليم، والثانى أمور ممكنة على الأكثر وهى تأثيرات أمكنة الكواكب فى كيفيات الطبيعة الأرضية إذا لم يمنعها مانع كتسخينها مثلاً. وهو جزء من علم الطبيعة، والثالث أمور منسوبة إلى الكواكب بالظن والوضع وبطريقة الاستحسان والحسبان وهذه أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة ولا سبيل إلى أن تعلم وتضبط ولا تنفع فيها التجارب "انظر أيضًا د. محسن مهدى. التعاليم والتجربة والتنجيم ص٢٦٦: ص٢٦٧ (ضمن الفارابى والحضارة الإنسانية).

٥ - التعليقات: ص٢٢ وانظر أيضًا: كارلونيلينو. علم الفلك ص٢٣ - ٢٤.

٦ - د. محسن مهدى: التعاليم والتجربة والتنجيم. ص٢٦٦ (ضمن الفارابى والحضارة).

٧ - د. على سامى النشار: "الأصول الأفلاطونية" فيدون ص١٩٠ - ١٩١ن أفلاطون الجمهورية الكتاب السابع ص٢٦٦ - ٢٧٤، د. مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون ص١٣٠، هانزريشنباخ. نشأة الفلسفة العلمية: ص٣٨ - ٤٠ ترجمة د. فؤاد زكريا.

٨ - كارلونيلينو: علم الفلك ص٢٦٠ - ٢٦١.

٩ - مبادىء الموجودات: ص٣١، آراء أهل المدينة ص١٩ وانظر أيضًا "سارتون. تاريخ العلم: جـ٣ ص٢٢٤ - ٢٢٥.

١٠ - عيون المسائل: ص٣٧، الدعاوى القلبية: ص٧، كارلونيلينو: علم الفلك ص٢٦٣، فلوطرخس. الآراء الطبيعية ص١٢٨ - ١٢٩ (ضمن أرسطو عند العرب).

١١ - فصوص الحكم: ص٣٧.

١٢ - د. عبد الرحمن بدوى. أفلوطين عند العرب ص٨٥،

Duhem, Le Systeme du mond, IV, 447.

١٣ - خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية جـ٢ ص١١٧ - ص١١٧ - ص١١٨.

(E.) Gilson, History of Christian Philosophy, P. 197.

١٤ - الغزالى: المنقذ من الضلال ص٢٢.

١٥ - الشيخ مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص٢٦٤.

١٦ - رسائل الكندى الفلسفية: الرسالة المذكورة ص٢١٩ - ٢٢٠ وانظر أيضًا رسالة فى أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة ص٤٥ - ٤٦.

١٧ - د. محسن مهدى: التعاليم والتجربة فى التنجيم ص٢٦٨.

١٨ - رسائل إخوان الصفا: الرسالة السابعة جـ١ ص١٩ من القسم الثانى.

١٩ - ديلاسى أوليرى: الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص١٤٤.

٢٠ - المرجع السابق: ص١٣٥.

٢١ - د. عاطف العراقى: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ص٢٥٥ وانظر أيضًا: الطوسى: شرح الإشارات والتنبيهات عن القسم الطبيعى ص٢٨٦.

(*) انظر: للمؤلفة (ابن باجة وآراؤه الفلسفية) باب الطبيعيات.

٢٢ - د. عاطف العراقى. الميتافيزيقا فى فلسفة ابن طفيل ص٨١.

٢٣ - عيون المسائل ص٢٥ - ٢٨ وانظر أيضًا د. عاطف العراقى: الميتافيزيقا فى فلسفة ابن طفيل ص١٠١ - ١٠٢.

٢٤ - ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة جـ٢ ص٨٨٥ - ٨٨٦.

٢٥ - د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ص٢١٣ - ٢٢٤.

٢٦ - موسى بن ميمون: دلالة الحائرين جـ١ ص١٨٧ - ١٨٨، الفارابى آراء أهل المدينة الفاضلة ص٥٣، انظر أيضًا د. جعفر آل ياسين. فيلسوفان رائدان ص١٨٣، عبد المجيد الغنوشى: الأسس النشكونية ص١٠٣ - ١٠٤ (ضمن الفارابى والحضارة الإنسانية.

(*) نلاحظ أن الفارابى وضع المادة أو الهيولى ضمن موجودات العالم العقلى. وهذا يدل على أن الهيولى هنا هى هيولى أولى أو هيولى كلية لكل أنواع المواد وكأنها فكرة عن الهيولى بوجه عام، وليست الهيولى المتشخصة المتعينة. وهنا تبدو نزعته التوفيقية بين أفلاطون وأرسطو فى فكرتهما عن الهيولى الأولى أو عن المادة القابلة على التوالى.

٢٧ - الفارابى: مبادىء الموجودات ص٣١، عيون المسائل: ص٢٤، د. عاطف العراقى: ثورة العقل ص١٠٩ - ١١٢. دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص١٦٣ - ١٦٥.

٢٨ - مبادىء الموجودات: ص٣١ - ٣٢ رسالة زينون: ص٦، آراء أهل المدينة الفاضلة: ص٢٤ - ٢٥، د. محمد البهى الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى هامش ص٢٤٠، د. جعفر آل ياسين. فيلسوفان رائدان ص١٧٧.

٢٩ - مبادىء الموجودات: ص٣١، د. عاطف العراقى: ثورة العقل ص١١٠ - ١١١.

٣٠ - مبادىء الموجودات: ص٥٨.

٣١ - د. ماجد فخرى: الفكر الأخلاقى العربى جـ٢ ص٨٠.

٣٢ - الفارابى: فلسفة أرسطو طاليس ص٩٩ - ١٠٠.

٣٣ - د. جعفر آل ياسين: فيلسوفان رائدان ص١٧٧.

٣٤ - الفارابى: فصول منتزعة ص٧٨.

٣٥ - مبادىء الموجودات: ص٣٣ - ٣٤.

٣٦ - المرجع السابق: ص٤١.

٣٧ - آراء أهل المدينة: ص٣٣.

٣٨ - أرسطو طاليس فى السماء والعالم: ص١٣٤، د. عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: ص١٧٤ - ص١٧٦.

٣٩ - مبادىء الموجودات: ص٦٥ وانظر أيضًا موسى بن ميمون: دلالة الحائرين جـ٢ ص٢٦٠.

٤٠ - مبادىء الموجودات: ص٤٢.

٤١ - الدعاوى القلبية: ص٨، عيون المسائل: ص٢٨ وانظر أيضًا ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ص١٢٨.

٤٢ - التعليقات: ص١٥.

٤٣ - مبادىء الموجودات: ص٥٥.

٤٤ - المرجع السابق: ص٥٥ - ٥٦.

٤٥ - الدعاوى القلبية: ص٨، عيون المسائل: ص٢٨.

٤٦ - التعليقات: ص١٤.

٤٧ - فلسفة أرسطوطاليس: ص١٠٥ وأيضًا.

(E.) Gilson, History of Chrisian Philosophy, P. 197.

٤٨ - الدعاوى القلبية: ص٨.

٤٩ - عيون المسائل: ص٢٦.

٥٠ - رسالة للفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص١٠٨ - ١٠٩.

٥١ - آراء أهل المدينة: ص٥ وأيضًا ص٢٦، رسالة فى الرد على يحيى النحوى: ص١٠٨.

٥٢ - آراء أهل المدينة: ص٩.

٥٣ - الدعاوى القلبية: ص٧، عيون المسائل: ص٢٧.

٥٤ - الدعاوى القلبية: ص٧.

٥٥ - المرجع السابق ص٨، عيون المسائل: ص٢٨.

٥٦ - ابن سينا: الشفاء. الطبيعيات. ن٢ م١ ف١ ص١٦٢ وانظر أيضًا د. عاطف العراقى: الفلسفة الطبيعية ص٣٦٠.

٥٧ - عيون المسائل: ص٢٨.

٥٨ - الدغاوى القلبية: ص٨.

٥٩ - آراء أهل المدينة: ص٣٧.

٦٠ - التعليقات: ص٢١.

٦١ - الدعاوى القلبية: ص٧.

٦٢ - آراء أهل المدينة: ص٣٥.

٦٣ - مبادىء الموجودات: ص٥٦، آراء أهل المدينة: ص٣٤ - ٣٥.

٦٤ - آراء أهل المدينة: ص٣٦.

٦٥ - التعليقات: ص١٥.

٦٦ - إثبات المفارقات: ص٦.

٦٧ - أرسطو طاليس فى السماء والآثار العلوية: ص١٩٥.

٦٨ - الدعاوى القلبية: ص٦ وانظر أيضًا عيون المسائل: ص٢٨ ود. عاطف العراقى، الفلسفة الطبيعية: ص٣٦٢.

٦٩ - مبادىء الموجودات: ص٣٤.

٧٠ - ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ص١٣٦.

٧١ - آراء أهل المدينة: ص٣٣.

٧٢ - المرجع السابق: وانظر أيضًا ابن سينا: رسالة فى الأجرام العلوية ص٥٦.

٧٣ - رسالة الفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص١١٠.

٧٤ - جواب مسائل شئل عنها: ص٦٥ وانظر أيضًا أرسطو فى السماء والآثار العلوية ص١٧٧.

٧٥ - التعليقات: ص٨ - ٩.

٧٦ - رسالة للفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص١١١.

(*) الأسطقس: لفظ يونانى بمعنى الأصل أو العنصر البسيط الذى تتألف منه الأجسام المركبة كالحجارة والجذوع التى منها يتركب القصر، وكالحروف التى يتركب منها الكلام، وكالواحد الذى منه يتركب العدد. والأسطقسات الأربعة عند القدماء هى. النار - الماء - الأرض - الهواء. وتسمى أيضًا العناصر "انظر. الشريف الجرجانى: التعريفات ص٢١، أيضًا ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ص٣١.

٧٧ - فلسفة أرسطو طاليس: ص٩٩ وأيضًا إحصاء العلوم: ص٩٦.

٧٨ - مبادىء الموجوداتك ص٥٨.

٧٩ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص٢٧ - ٢٨.

٨٠ - عيون المسائل: ص٢٨.

٨١ - الدعاوى القلبية: ص٩.

٨٢ - عيون المسائل: ص٢٨.

٨٣ - الدعاوى القلبية: وولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية. ص٢٤٢، ص٢٤٣.

٨٤ - عيون المسائل: ص٢٨، الدعاوى القلبية: ص٨.

٨٥ - رسالة الفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص١١١ - ١١٢.

٨٦ - المرجع السابق: ص١١٢ - ١١٣.

٨٧ - رسالة الفارابى فى الرد على يحيى النحوى: ص١١٣.

٨٨ - موسى بن ميمون: دلالة الحائرين جـ١ ص١٨٦ - ١٨٧.

٨٩ - الدعاوى القلبية: ص٨.

٩٠ - رسالة الفارابى فى الرد على جالينوس: ص٤٤ - ٤٥.

٩١ - جواب مسائل سئل عنها: ص٥٢.

٩٢ - الدعاوى القلبية: ص٩.

٩٣ - جواب مسائل سئل عنها: ص٥٨.

٩٤ - عيون المسائل: ص٢٨ - ٢٩، الدعاوى القلبية: ص٩.

٩٥ - عيون المسائل: ص٢٨.

٩٦ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص٣٨.

٩٧ - المرجع السابق: ص٣٩ - ٤٠.

٩٨ - الدعاوى القلبية: ص٥.

٩٩ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص٤٠.

١٠٠ - الدعاوى القلبية: ص٩.

١٠١ - آراء أهل المدينة: ص٤٧.

١٠٢ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص٤٣. وقد حاول بعض الباحثين المحدثين تفسير مذهب الفارابى فى الكون والفساد تفسيراً ماديًا بحيث يعتمد على أن التغيرات التى تحدث فى العالم الأرضى تحدث وفق مبدأ الصراع بين المتناقضات من الموجودات معتمداً على قانون ديالكتيكى متطور. بحيث يعتقد بديمومة وجود المادة الأساسية التى انبثقت عنها الأجسام المتغيرة، وأن هذا التغير يتم بعيدًا عن تأثير العلة الأولى، حيث إن بقاء المادة وتجدد وجودها وتحولها وامتدادها وتطورها ليس مرده الإرادة الإلهية، بل قانون ديالكتيك العلاقة الداخلية بين المادة والصورة. وأن المادة أزلية لأنها منذ الأزل متحركة ضمن عملية ذاتية مستمرة تنتقل من حلقة إلى حلقة حتى وجود العالم الطبيعى. انظر: على حسين حسن الجابرى. قراءة معاصرة لمدينة الفارابى الفاضلة. مجلة زانكو العلمية العدد٣ ص٢ - ٦ وانظر أيضًا حسين مروه: النزعات المادية فى الفلسفة الغربية الإسلامية جـ٢ ص٥٠١ - ٥٠٤".

وفى حقيقة الأمر: فإننا لسنا ضد حركة تحديث الفكر الإسلامى ولكننا ضد إسقاط الأفكار والنظريات الحديثة والمعاصرة

على أفكار العصور الوسطى ونظرياتها، ومن الخطأ أن نؤول أفكار الفارابى ونظرياته بحيث تظهر كأفكار حديثة لأن الكثير من أفكاره قد لا يكون لها فى ذهنه ما تحمله من دلالات فى عصرنا الحديث، ومن هنا كانت تلك المحاولة خاطئة فى دعامتها وأهدافها.

١٠٣ - جواب مسائل سئل عنها: ص٥٢.

١٠٤ - مبادىء الموجودات: ص٥٨.

١٠٥ - التعليقات: ص٣.

١٠٦ - الحروف ص١٢٢.

١٠٧ - رسالة الفارابى فى الرد على جالينوس: ص٤٤ - ٤٥ وانظر أيضًا ابن سينا: الشفاء الطبيعيات: ن٣١ ف٤ ص١٩٨ انظر أيضًا د. عاطف العراقى: الفلسفة الطبيعية: ص٣٧٧ - ص٣٨٦.

١٠٨ - عيون المسائل: ص٢٥ - ٢٦.

١٠٩ - مبادىء الموجودات: ص٥٥ - ٥٦، آراء أهل المدينة: ص٣٥ - ٣٦.

١١٠ - آراء أهل المدينة: ص٢٠.

١١١ - مبادىء الموجودات: ص٥٤ - ٦٠.

١١٢ - المرجع السابق: ص٥٥ - ٥٦ وأيضًا رسالة زينون: ص٦.

١١٣ - مبادىء الموجودات: ص٦٠ - ٦١.

١١٤ - مبادىء الموجودات: ص٦١ - ٦٢، آراء أهل المدينة: ص٤٦.

١١٥ - الجهة التى يصح عليها القول فى أحكام النجوم: ص٢٧٥ - ٢٧٦ (ضمن الفارابى والحضارة) وانظر أيضًا تلخيص ما بعد الطبيعة لابن رشد: ص٥٥.

(P.) Duhem, Le Systeme du mond, T. 4, P. 555.

١١٦ - الدعاوى القلبية: ص٥.

١١٧ - فلسفة أرسطو طاليس: ص١٣٠ - ص١٣٣.

١١٨ - كارلونيلينو: علم الفلك وتاريخه ص٢٦٠ - ٢٦١ انظر أيضًا د. الألوسى" من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان ص٢٦ - ٢٧.

١١٩ - كارلونيلينو: علم الفلك وتاريخه ص٢٦٣، وللكندى رسالة فى هذا الموضوع بعنوان "رسالة الكندى إلى أحمد بن المعتصم فى أن العناصر والجرم الأقصى كرية الشكل" انظر. رسائل الكندى الفلسفية د. عبد الهادى أبو ريدة: ص٤٧ - ٥٣.

١٢٠ - عيون المسائل: ص٢٧، والدعاوى القلبية: ص٧ وانظر أيضًا د. عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: ص١٣٢.

١٢١ - كارلونيلينو: علم الفلك وتاريخه ص٢٦٣، أرسطو فى السماء والآثار العلوية ص٢٩٦ - ٢٩٧.

١٢٢ - مبادىء الموجودات: ص٥٤ن الدعاوى القلبية: ص٦، انظر أيضًا الإيجى: المواقف جـ٢ ص١٤٨ - ١٤٩. وكذلك كارلونيلينو: علم الفلك وتاريخه ص٣٣٦، د. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص١٦٣.

١٢٣ - فلسفة أرسطو طاليس: ص٩٨ - ١٠٦ وانظر أيضًا إحصاء العلوم ص٨٦.

١٢٤ - مبادىء الموجودات: ص٥٥ وأيضًا خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية جـ٢ ص١١٧.

١٢٥ - انظر ابن سينا. الشفاء: الطبيعيات ن م١. ف٧ ص١٧٨ - ١٨٨، وانظر أيضًا الإيجى: المواقف جـ٢ ص١٤٨ - ١٤٩: حيث يذكر ثلاثة حجج يستدل بها على ثبات الأرض فى مركز الكون.

١٢٦ - كارلونيلينو: علم الفلك وتاريخه ص٢٥٣ - ٢٥٤، انظر أيضًا ديكستر هوز. تاريخ العلم والتكنولوجية: ص١٨٦: ص١٩٩.

١٢٧ - التعليقات: ص٨ - ٩ وأيضًا جواب مسائل سئل عنها: ص٥٢.

١٢٨ - الدعاوى القلبية: ص٥.

١٢٩ - د. أحمد صبحى: دراسة فلسفية فى أصول الدين جـ١ ص٢٧٧ وأيضًا ص٥١٨.

١٣٠ - مبادىء الموجودات: ص٥٥ - ٥٦.

١٣١ - فلسفة أرسطو طاليس: ص٩٨.

١٣٢ - آراء أهل المدينة الفاضلة: ص٣٣.

١٣٣ - الدعوى القلبية: ص٦، عيون المسائل: ص٢٦.

***